مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة رجب ١٤٤٣هـ / فبراير ٢٠٢٢م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

الجزء الأول

موضوعات العدد:

- مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم «دراسة موضوعية»
  د. بابي زكوب عبد العالي
- الضيافة مشروعيتها، وآدابها، وحكمها في ضوء القرآن الكريم
  د. سلطان بن عبد الله الجربوع
- دلالات أفعال الخلق الكوني والإنساني في ضوء القرآن
  «بث، وأحيا، وأنبت، وأخرج، وجعل، ونشر» نماذج تطبيقية
  د. الأمير محفوظ محمد إبراهيم
- الفروق الحركية فيما اتحدت حروفها من الكلمات القرآنية
  وأثرها في المعنى والتدبر «دراسة تطبيقية»
  محمد بن عبد الكريم بن معمر
- تشجيع الرسل عليهم السلام في ضوء القرآن الكريم
  حمزة بن عبد الله سعادة شواهنة

مجلة تدبر
عفت

مَقَاصِدُ البَلَاءِ فِي ضَوْءِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

«دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ»

د. بَايْ زِكُوبْ عَبْدُ العَالِي

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

قدم للنشر في: ١٤٤١/٧/١٩
قبل للنشر في: ١٤٤١/١٢/٢٢
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

◆ **حصل على درجة الماجستير** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا.

◆ **حصل على درجة الدكتوراه** من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، قسم القرآن والسُّنة، الجامعة الإسلاميَّة العالمية - ماليزيا.

◆ **النتاج العلمي:**

«دور توظيف تدبُّر القرآن الكريم في تعزيز أخلاق البحث العلمي من وجهة نظر محاضري كلية العلوم الإسلامية بجامعة المدينة العالمية ماليزيا»، (بحث محكَّم منشور)، «القلب بين القرآن الكريم والعلم الحديث»، (بحث محكَّم منشور)، «من خصائص الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «وجوه الخطاب الإصلاحي في تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس»، (بحث محكَّم منشور)، «مصطلح المال في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه في الشريعة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «الطُّرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تفريق الأُمَّة الإسلامية»، (بحث محكَّم منشور)، «هدايات تشريعيّة لأحكام الأطعمة في ظلال سورة المائدة: دراسة تفسيرية موضوعية»، (بحث محكَّم منشور) «مقوّمات تدبّر القرآن الكريم ومعوّقاته»، (بحث محكَّم منشور)، مصطلح العقل في القرآن الكريم ووسائل الحفاظ عليه: دراسة قرآنية مقاصدية (بحث محكَّم منشور) وغير ذلك.

◆ البريد الشبكي: bey.zekkoub@mediu.edu.my/ beyzekoub@yahoo.fr

مجلة تدبر

المُستَخلَص

يُعنَىٰ هذا البحث بدراسة: (مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)، وقد هدف إلىٰ بيان مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المبثوثة في ثنايا سياقاته؛ لِمَا له من أثر عقائديٍّ، وتربويٍّ، وأخلاقيٍّ، في حياة المسلم. موظِّفًا المنهج الاستقرائي التحليلي، ثم المنهج الاستنباطي. وقد توصَّل البحث إلىٰ أنَّ المقصد الرئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتَلَىٰ من معاني العبوديَّة لله وحده، والتعرُّف علىٰ حاله في الطَّاعة والمعصية؛ بتحميله الضِّيق، والمشقَّة، والألم. كما توصَّل إلىٰ استنباط أهمِّ مقاصد البلاء من خلال القرآن الكريم، وتحليلها ودراستها، التي أوصلها الباحث إلىٰ اثني عشر مقصدًا قرآنيًّا؛ ليكون ذلك طريقًا هاديًا في الحفاظ علىٰ النِّعم وإربائها، وفي دفع ما يستجدُّ من أنواع المصائب ودرئها؛ ذلك أنَّ البلاء يُظهِرُ حالَ المبتَلِين، ومدىٰ تطبيقهم للتَّكاليف والنَّواهي، وتتجلَّىٰ به نيَّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني، والحِكم، للبلاء في الخير، والشَّرِّ.

الكلمات المفتاحية: مقاصد، البلاء والابتلاء، القرآن الكريم، الخير والشَّرُّ، المفسِّرون.

states of those in trouble as well as the extent of their compliance with religious obligations and prohibitions and their responsiveness to Allâh and the Prophet (may Allâh's blessings and peace be upon him). All of this varies from one person to another according to the strength of his faith, sensemaking and the rationales behind tribulations and trials.

Keywords: Rationales- tribulation and trial- the Noble Quran-good and evil-exegetes

The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: A Thematic Study

The Rationales behind Tribulations from a Quranic Perspective

(An Objective Study)

Prepared by:

Dr. Bey Zekkoub Abdelali

Associate Professor, the Department of Qur'an and its Sciences, the Faculty of Islamic Sciences at Al-Madinah International University, Malaysia

Abstract

This research examines the rationales behind tribulations from a Quranic perspective. It aims to shed light on the objectives of tribulations as reflected in the Noble Quran because of their doctrinal, educational, and moral impacts on the Muslim's life. It also employs the inductive analytical and the deductive approaches. The research found that the main rationale behind tribulation is to elicit the meanings of servitude to Allâh alone from the afflicted person's psyche and find out about the extent of his religiousness by burdening him with distress, hardship and agony. The research concluded the main rationales behind tribulation in accordance with the Noble Quran, analyzed and explored them, which reached twelve Quranic purposes according to the researcher. This is designed to be a guiding way of preserving and maximizing divine blessings and warding off new types of misfortunes. This is because tribulation shows the spiritual

مجلة تدبر

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله الذي كتب الرَّحمة علىٰ نفسه، وحرَّم الظلم علىٰ ذاته، وابتلىٰ عباده بالخير والشَّرِّ بمقتضىٰ رحمته وعدله، فمنهم من شكر الله علىٰ نِعَمه؛ فسخَّرها في مرضاته؛ فوفَّقهم لطاعته، وزادهم من خيره، ومنهم من جحد نِعمة الله عليه؛ فوظَّفها في سخطه؛ فخذلهم عن طاعته، وحرمهم من خيره، والصَّلاة والسَّلام الأتمَّان الأكملان علىٰ نبيِّنا محمد، أكثر من ابتُلي؛ فشكر وصبر؛ ولذلك وصفه الله تعالىٰ في أشرف المقامات بالعبوديَّة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء:١]، ورضي الله تعالىٰ عن آله الطيِّبين الطَّاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، الذين قاموا بالدَّعوة إلىٰ الله، والجهاد في سبيله أحسن قيام: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]؛ فنالوا بذلك شرف الصُّحبة، والثَّناء، والرِّضىٰ من ربِّهم، ومَنِ اقتفىٰ أثره، ودان بدينه إلىٰ يوم الدِّين. أمَّا بعد؛

فقد أنزل الله القرآن الكريم؛ ليكون منهج حياة للنَّاس جميعًا، فأمرنا بتدبُّره؛ لفهم معانيه، واستنباط أحكامه، وكشف وجوه إعجازه، واستخراج سُننه، وسبر أغواره، والولوج في أعماق أسراره وحِكَمِه، فقال تعالىٰ ذكره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ومن المعلوم أنَّ الله لَمَّا خلق هذا الكون جعل له سننًا يسير وَفقها؛ حتىٰ ينتظم أمر الخلق، وخرق هذه السُّنن يقود إلىٰ ظهور الفساد في برِّ الأرض وبحرها، ومن هذه السُّنن الإلهيَّة: سُنَّة البلاء بالخير والشَّرِّ المنصوص عليها في القرآن الكريم، وهي سُنَّة من سنن الله تعالىٰ في

الأوَّلين والآخرين، من الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم، التي تجري باطِّراد في حياة البشر، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، والمعنىٰ: «لن يغيِّر ذلك ولا يبدِّله؛ لأنَّه لا مردَّ لقضائه»(١)، وفي الصَّحيح عن عياض بن حِمار الْمُجَاشِعِيِّ أنَّ رسول الله ﷺ، روىٰ عن ربِّه ﷻ أنَّه قال: «إنَّما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»(٢).

بيد أنَّ إخلال بعض النَّاس بهذه السُّنَّة الكونيَّة؛ أدَّىٰ إلىٰ فقدان الرَّخاء في العيش، والصِّحَّة في البدن، وحلول الشَّظف في العيش، والاعتلال في البدن، ولا شكَّ أنَّ هذا ناتج عن قلَّة الوعي لدىٰ الناس بشأن مقاصد البلاء المذكورة في القرآن الكريم.

لذا، بات من الأهمِّية بمكان التعرُّف علىٰ مقاصد البلاء، وإدراك حِكَمِه؛ حتىٰ يحسن تعامل الناس معه، ولا يتأتَّىٰ لنا هذا إلَّا بعد تتبُّع مواضع ذكر البلاء، ونظائره في القرآن الكريم، ثم الاطِّلاع علىٰ أقوال المفسِّرين القدامىٰ والمعاصرين لتلك المواضع، وما يتعلَّق بها من سُنَّة رسول الله ﷺ؛ لأنَّها بمنزلة القرآن في التشريع، ثم تحليلها ودراستها؛ حتىٰ نهتدي في الأخير إلىٰ بعض مقاصد البلاء، التي قد تخفىٰ علىٰ بعض عباد الله، وتظهر لآخرين، ونحن إذ نقوم باستخراج هذه المقاصد، لا ندَّعي أنَّها تقتصر علىٰ ما ذكرناه في هذا البحث فحسب؛ ذلك لأنَّ هذه المقاصد لها ارتباط بواقع النَّاس، وبما أنَّ الواقع يتجدّد، فإنَّ المقاصد والحِكَم والغايات تتجدَّد معه، وقد يظهر لنا في هذا الزَّمان ما لم يظهر لغيرنا في الأزمنة الماضية، وقد يظهر للأجيال القادمة ما لا يظهر لنا في الوقت الحالي؛ لأنَّ القرآن الكريم له علاقة وطيدة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).

بواقع الناس، ومنه يقوم العلماء باستخراج هداياته، وأحكامه، وحِكَمِه، كلٌّ حسب توفيق الله له: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال إبراهيم النَّخعي رحمه الله: «الحكمة معرفة معاني الأشياء وفهمها»(١).

مجالات النشر:

تصبُّ هذه الدِّراسة في مجال الاستنباط من القرآن الكريم، وقد تناوَلتُ فيها استخراج مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم؛ مستعينًا في ذلك بآراء العلماء المفسِّرين، أصيلها ومعاصرها، مع دراستها وتحليلها؛ لأجل الوصول إلىٰ أهمِّ مقاصد البلاء، التي من الممكن أن تكون طريقًا هاديًا في حسن التَّعامل مع البلاء في الخير والشَّرِّ.

حدود الدِّراسة:

تدور الحدود الموضوعية لهذه الدِّراسة حولَ الآيات ذات الصّلة بمقاصد البلاء في القرآن الكريم، مع الرُّجوع في فَهْمها واستخراج مقاصدها إلىٰ كُتب تفسير القرآن الكريم، والأخْذ بعين الاعتبار بما أتانا به ﷺ في سنَّته؛ لأنَّه بمنزلة القرآن في التَّشريع.

أهداف الدِّراسة:

١- التَّعريف بمقاصد البلاء في القرآن الكريم.

٢- استنباط أهمِّ مقاصد البلاء المنصوص عليها في القرآن الكريم، أو المبثوثة في ثنايا سياقاته.

٣- بيان معاني مقاصد البلاء المستنبطة من القرآن الكريم، وذلك من وجهات نظر عدَّةٍ للمفسِّرين.

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (١/ ٣٧٣).

٤- لفت انتباه القرَّاء إلىٰ كيفيَّة التَّعامل مع البلاء في الخير والشَّرِّ بمشيئة الله تعالىٰ.

◆ منهج الدِّراسة:

استخدمت الدِّراسة المنهجَ الاستقرائيَّ التحليليَّ؛ حيثُ يقومُ الباحث باستقراء الآيات التي تحدَّثت عن موضوع مقاصد البلاء في القرآن الكريم، ثمَّ باستقراء آراء العلماء المفسِّرين حولَ تلك الآيات، وما يتعلَّق بها من سُنَّة رسول الله ﷺ، ثمَّ تُحلَّل وتُصنَّف حسَب الخطَّة البحثيَّة للموضوع، كما استفادت الدِّراسة من المنهج الاستنباطيِّ في استخراج أهمِّ مقاصد البلاء بناءً علىٰ ما تمَّ استقراؤه.

◆ الدِّراسات السَّابقة:

١- أجرىٰ الباحث محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) دراسة بعنوان «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدَّمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسُّنَّة، بجامعة أم القرىٰ، في المملكة العربية السُّعودية، هدفت إلىٰ الكشف عن معنىٰ الابتلاء في القرآن الكريم، وأنواعه وصوره، وموقف الإنسان منه، ومن أهم ما توصَّلت إليه هذه الدِّراسة: أنَّ الابتلاء يكون في ميدان الخير بالصَّبر علىٰ الطاعة، من حيث امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وفي ميدان الشَّرِّ بالصَّبر علىٰ ما يلقىٰ الإنسان من مكاره ومصاعب، وأنَّ الابتلاء طريق لإظهار موقف المكلَّف من الأوامر والنَّواهي التي تعبَّدنا الله بها علىٰ وجه الاختيار، فكان الخلق للابتلاء وسيلة لإظهار نتيجة الخلق للعبادة؛ فكلٌّ من الخلق للابتلاء والخلق للعبادة لازم للآخر ومكمِّل له، وقد استخدمت الدِّراسة المنهج الاستقرائي التحليلي[(١)].

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد عبدالعزيز الرحالي، (ص ٤١٩) وما بعدها.

٢- وتناول الباحث محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨) دراسة بعنوان: «الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة ماجستير في التفسير من قسم أصول الدين، بالجامعة الأردنية، والبحث عبارة عن دراسة قرآنية لسنة البلاء، وقد هدفت إلىٰ تجلية هذه السنة وتحديد موقف الإنسان تجاهها، محاولةً الكشف عن مزايا الأسلوب القرآني في تناولها، ومعالِجة لبعض التصوُّرات الخاطئة العالقة في أذهان الناس، وقد ضمَّنها الباحث تمهيدًا، وأربعة فصول، وخاتمة، وخصص في الفصل الثاني مبحثًا مختصرًا عن حكم البلاء، أورد فيه الباحث الأهداف والغايات التي يحقِّقها الابتلاء، وقد توصَّلت الدراسة إلىٰ أهم ما ينبغي أن يتزوَّد به الإنسان لمواجهة البلاء، وتخفيف شدَّته، وقد استخدمت الدِّراسة المنهج الاستقرائي التحليلي(١).

٣- وأما الباحث رجب نصر موسىٰ الأنس (٢٠٠٧)، فقد أجرىٰ دراسةً بعنوان: «سُنة الابتلاء في القرآن الكريم»، وهي رسالة مقدَّمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدِّين، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين، هدفت إلىٰ الكشف عن ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم، وضروبه، وموقف الإنسان منه، وقد توصَّلت الدِّراسة إلىٰ أهمية التشبُّث بالصَّبر وضرورته، والعقيدة مهما تكن الظُّروف والأحوال، موظَّفة المنهج الاستقرائي التحليلي(٢).

٤- بينما الباحث حمدي سلمان معمر (٢٠٠٩)، قد تناول دراسةً بعنوان: «التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم»، وهو بحث نشرته مجلَّة جامعة الأقصىٰ، في غزَّة، فلسطين، هدفت إلىٰ بيان

(١) الابتلاء في القرآن الكريم، لمحمد يوسف أحمد دوفش، (ص ٣ و٣٣٧) وما بعدها.

(٢) سنة الابتلاء في القرآن الكريم، لرجب نصر موسىٰ الأنس، (ص ٣ وص١٧٦) وما بعدها.

الغرض من إصابة المسلمين بأنواع المصائب، مستخدمًا المنهج الفلسفي التحليليَّ، وخرج البحث بعدَّة نتائج، من أهمِّها: أنَّ الابتلاء سُنَّة دائمة لله في خلقه، وهو للمؤمنين تطهير، وللكافرين تذكير وعقاب[(١)].

التَّعليق على الدِّراسات السَّابقة:

تناولت الدِّراسة الحاليَّة تحديد أهم مقاصد البلاء واستنباطها من خلال القرآن الكريم؛ حيثُ قام الباحث باستقراء لفظتي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم، وتتبع معانيهما دراسةً وتحليلًا في كتب التفسير، ثم باستنباط أهم مقاصد البلاء بناء علىٰ ما تم استقراؤه ودراسته، موظِّفًا المنهج الاستقرائي التَّحليليَّ، والمنهج الاستنباطيَّ، وهذا ما لم تفعله الدِّراسات السَّابقة، باستثناء تطرُّقها إلىٰ مفهوم البلاء في اللُّغة والاصطلاح، وبعض الحِكَم العامة للبلاء، واقتصارها علىٰ المنهج الاستقرائي والفلسفي التحليلي، وقد لوحظ أنَّ دراسة محمد يوسف أحمد دوفش (١٩٨٨)، ودراسة رجب نصر موسىٰ الأنس (٢٠٠٧)، مماثلة لرسالة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨) في بعض أجزاء موضوعاتها وتقسيماتها، إلَّا أنَّ دراسة محمد عبدالعزيز الرحالي (١٩٨٨)، اتَّسمت بالأصالة والعمق والمنهجية العلمية؛ ذلك ويلاحظ أنَّ الدِّراسة الحاليَّة تختلف عن الدِّراسات السَّابقة من حيث هدفها ومنهجها المستخدم، ومن حيث موضوعها وتقسيماتها، وطريقة تناولها لمقاصد البلاء القرآنية؛ حيث يتناول هذا البحث استخراج مقاصد البلاء في القرآن الكريم، من خلال نظرة تفسيريَّة موضوعيَّة، وهذا يؤكِّد أنَّ موضوع الدِّراسة الحاليَّة جدير بالتناول؛ لأنَّه يركِّز علىٰ مقاصد البلاء التفصيليَّة من خلال القرآن الكريم.

---

(١) التربية بالابتلاء: دراسة تربوية لآيات الابتلاء في القرآن الكريم، (ص ٩٤).

خطّة البحث:

وتشتمل على مقدِّمة، ومبحثَيْن، ثم الخاتمة، هذا هو بيانها:

المقدِّمة: موضوع البحث، مجاله، حدوده، أهدافه، منهجه، الدِّراسات السَّابقة وخطة البحث.

المبحث الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثَّالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرَّابع: الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السَّادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية.

المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكل.

المطلب الثَّالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء.

المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر.

المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا.

المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر.

المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة.

المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرَّحمة.

المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص.

المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.

المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف.

المطلب الثَّاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.

ثم الخاتمة.

المبحث الأوَّل:

تعريف المقاصد القرآنية،

وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم

سيتطرَّق هذا المبحث إلىٰ تعريف المصطلحات الأساسية للبحث، والوقوف مع معاني البلاء والابتلاء في اللُّغة وفي اصطلاح المفسِّرين، ثم محاولة استخراج الفرق بينهما، وتتبع الألفاظ ذات الصلة بهما؛ ذلك وقد تم تتبُّع مفردتي البلاء والابتلاء في القرآن الكريم وتحديد مواطن ورودهما، ثم دارستهما وتحليلهما، ويتضمَّن هذا المبحث ثمانية مطالب، هي:

المطلب الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية.

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الثَّالث: مفهوم مقاصد البلاء في القرآن الكريم.

المطلب الرَّابع: الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة.

المطلب السَّادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم.

المطلب السَّابع: رسومات بيانية تبيِّن الصيغ التصريفية لمادة «بلا» في القرآن الكريم.

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية.

المطلب الأول:
تعريف المقاصد القرآنية

المقاصد في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي لمادَّة: قصد، يقصد، قصدًا، ومقصدًا، فهو قاصد، والمفعول مقصود، والقصد لغة هو: التوجه والاعتزام والنهوض والهدف، قال ابن جنّيّ: «أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب الاعتزام، والتَّوجُّه، والنُّهود، والنُّهوض نحو الشَّيء، علىٰ اعتدال كان ذلك أو جَوْر»(١)، ويأتي في اللُّغة لمعانٍ متنوِّعة، هي: استقامة الطَّريق، وطريق سهل، والعدل، والاعتماد والأَمُّ، وإتيان الشيء، والتوسُّط، والكسر، واللَّحم اليابس(٢)، وجاء في المعجم: «القصد: «الهدف»(٣)، وقد ورد لفظ القصد في ستَّة مواضع في القرآن الكريم، تحمل معاني: الاعتدال، والسهولة، والتبيين، والتواضع، كما سيأتي:

١. **التوسُّط** في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ﴾ [المائدة: ٦٦]. ويعني بـ: ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾؛ أي: «عادلة غير غالية، ولا مقصرة جافية»(٤)، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ﴾ [لقمان: ٣٢]. روي عن ابن زيد ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾ قال: «هو

(١) المحكم والمحيط الأعظم، للمرسي أبي الحسن (٦/ ١٨٧).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٣٥٣-٣٥٦).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (٣/ ١٨٢٠).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٦٨).

المتوسط في العمل»[1]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. ويعني بـ﴿مُّقْتَصِدٌ﴾؛ أي: «متوسط في الطَّاعات»[2].

٢. **السُّهولة** في قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ [التوبة: ٤٢]. وقوله: ﴿قَاصِدًا﴾ فمعناه: «قريبًا سهلًا»[3].

٣. **التبيين** في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩]. وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ فإنه يعني: «تبيين الطريق المستقيم إليه بالحُجج والبراهين»[4].

٤. **التواضع** في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]. رُوي عن مجاهد ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ قال: «التواضع»[5]، وعن الماتريدي قال: «اقصد في المشي في الناس، ولا تمشِ متكبرًا مستخفًّا بهم؛ لتؤذيهم»[6].

وقد عُرِّفت المقاصد اصطلاحًا، مضافةً إلىٰ علم مقاصد القرآن الكريم، بأنها: «الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[7]، وهذا التعريف قريب من تعريفات علماء مقاصد الشريعة، وعرَّفها آخر بأنَّها:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٥١).

(٢) النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٤٧٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ٢٧١).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٣/ ١٩٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٤٦).

(٦) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٨/ ٣٠٨).

(٧) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبدالسلام (٣/ ١٠).

«الكشف عن المعاني المعقولة، والغايات المتنوِّعة التي يدور حولها القرآن الكريم كليًّا أو جزئيًّا، مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد»(١)، ومن هنا يمكننا تعريف علم مقاصد القرآن الكريم بأنَّه: الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقًا لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقًا لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرى.

(١) نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم: رؤية تأسيسية، لوصفي عاشور (ص ٤٣).

المطلب الثاني:
تعريف البلاء في القرآن الكريم

البلاء مصدر الفعل الثلاثي على وزن فعل، وتصريفه: بَلَا، يبلو، ابْلُ، بلوًا وبلاءً، فهو بال، والمفعول مبلوٌّ، والابتلاء مصدر الفعل الثلاثي المزيد بحرفَيْن، أصله من بلا، فزيد فيه الألف في أوله، والتاء بين الفاء والعين على وزن افتعل، وتصريفه: ابتلى، يبتلي، ابتلِ، ابتلاء، فهو مُبتلٍ، والمفعول مبتلًى.

البلاء والابتلاء لغة هو: «التجربة»[(١)]، و«الامتحان والاختبار»[(٢)]، وفي اللِّسان: «البلاء: الاختبار، يكون بالخير والشَّرِّ، يقال: ابتليته بلاءً حسنًا وبلاءً سيِّئًا، والله تعالى يُبْلي العبد بلاءً حسنًا ويُبْلِيه بلاء سيِّئًا، والمعروف أنَّ الابتلاء يكون في الخير والشَّرِّ معًا»[(٣)]. وأمَّا اصطلاحًا فهو: «الاختبار بالخير والشرِّ، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وهو مجاز مشهور حقيقته بلاء الثواب، وهو تخلُّقه، وترهُّله، ولَمَّا كان الاختبار يوجب الضَّجر، والتَّعب؛ سُمي بلاءً، كأنه يَخلُق النَّفس، ثم شاع في اختبار الشَّرِّ؛ لأنَّه أكثر إعناتًا للنَّفس، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشَّرِّ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح، فيُطلق غالبًا على المصيبة التي تحلُّ بالعبد؛ لأنَّ بها يُختبر مقدار الصَّبر، والأناة»[(٤)]. وأمَّا الابتلاء فهو: «استخراج ما عند المبتَلَى، وتَعَرُّف

(١) كتاب العين، للفراهيدي (٨/ ٣٤٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٢٩٣).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٨٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٩٣).

حاله في الطَّاعة، والمعصية؛ بتحميله المشقَّة»(١). ويبدو لي بعد عرض المعنىٰ اللُّغوي والاصطلاحي للبلاء والابتلاء، أنَّ البلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء فيه معنىٰ المشقَّة، والاختبار أكثر، فزيادة المبنىٰ تدلُّ علىٰ الزِّيادة في المعنىٰ، وهما يشتركان في أنهما يحملان معنىٰ الاختبار، وكلاهما يكون في الخير والشَّرِّ معًا من غير فرق بين فعليهما.

المطلب الثالث:

مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم

مما سبق من تعريفات لمقاصد البلاء؛ يتبين لنا أنَّه يدور حول الكشف عن الغايات، واختبار أحوال النَّاس، وذلك في مجال القرآن الكريم.

ومن هنا يمكننا تعريف مقاصد البلاء في القرآن الكريم علىٰ أنَّها: الحِكَم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقِّي التَّكاليف، وأنواع النِّعم، والنِّقم، من منظور القرآن الكريم.

(١) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (١/ ٢١٦).

المطلب الرابع:
الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم

لقد أخبر الله في كتابه أنَّه يبتلي عباده تارةً بالخير، وتارةً بالشَّرِّ، فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن أهمِّ الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في الخير والشَّرِّ، كما سيأتي:

◆ أوَّلًا: البلاء بالخير:

١ - الإملاء:

تعود لفظة الإملاء إلىٰ جذرها اللُّغوي (مَلِيَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعًا»(١)، والإملاء في اللُّغة: «الإمهال، والتَّأخير، وإطالة العمر»(٢)، وقد جاء الإملاء بمعنىٰ البلاء بالتأخير، والتَّمتيع، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٨]، وعلَّق ابن عجيبة ﷺ علىٰ الآية فقال: «والإملاء هو الإمهال مع إرادة المعاقبة»(٣)، ويتضمَّن الإملاء: «التمتيعَ بطيبات الدُّنيا وزينتِها»(٤)، مع استمرار الظَّالمين علىٰ ظلمهم؛ حتىٰ يزدادوا إثمًا بذلك التَّأخير، ونحو ذلك من الآيات التي دلَّت علىٰ هذا المعنىٰ.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٦٧٦).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٢٩٠).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٣/ ٥٤٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢/ ١١٨).

٢- الحسنة:

تعود لفظة الحسنة إلىٰ جذرها اللُّغوي (حَسُنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلِّي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وتسعين»[(١)]، ومعناها في اللُّغة: «النِّعمة»[(٢)]، وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «الحسنة: الخير»[(٣)]. وقد جاءت الحسنة بمعنىٰ البلاء بالخيرات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «العافية والرَّخاء»[(٤)]، وكما في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: ٧٨]، ويعني بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾: «رخاء وظفر»[(٥)]، ونحو ذلك من الآيات.

٣- النِّعمة:

تعود لفظة النِّعمة إلىٰ جذرها اللُّغوي (نَعِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وأربعًا وأربعين»[(٦)]، ومعناها في اللُّغة: «التَّنعُّمُ وطِيبُ العَيش»[(٧)]، وقد جاءت النِّعمة بمعنىٰ البلاء بالنِّعم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣]، قال المفسِّرون: «وهذا الإِنعام: سَعة الرزق، وكشف البلاء»[(٨)]، وكما في قوله بشأن فرعون: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٠٢-٢٠٥).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ١١٦).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٤) المصدر السابق (١٣/ ٤٧).

(٥) المصدر السابق (٨/ ٥٥٥).

(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٧٠٧-٧٠٩).

(٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٨) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٣/ ٤٩).

فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٧]، ويعني بالنِّعمة: «متعة، وعيشًا ليِّنًا»(١)، قال قتادة ﷺ: «أخرجه الله [أي: فرعون] من جنَّاته، وعيونه، وزروعه؛ حتىٰ ورَّطه في البحر»(٢)، ونحو ذلك من الآيات.

٤ - الرَّحمة:

تعود لفظة الرَّحمة إلىٰ جذرها اللُّغوي (رَحِمَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثمائة وتسعًا وثلاثين»(٣)، ومعناها في اللُّغة: «الرَّأفة»(٤)، وعن ابن جرير ﷺ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [هود: ٩]؛ أي: «رخاء وسعةً في الرِّزق والعيش»(٥)، وقد جاءت الرَّحمة بهذا المعنىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ: ﴿رَحْمَةً﴾: «خصب، ورخاء، وعافية في الأبدان، والأموال»(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

◆ ثانيًا: البلاء بالشَّرِّ:

١ - الفتنة:

تعود لفظة الفتنة إلىٰ جذرها اللُّغوي (فَتَنَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ستين»(٧)، ومعناها في اللُّغة: «الابتلاء، والامتحان،

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٤/ ١٧٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٢/ ٣٢).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٠٤-٣٠٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤٤٦).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٠٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٩-٤٢٠).

والاختبار»[1]، وقد جاءت الفتنة بمعنىٰ البلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، عن مجاهد رحمه الله في قول الله: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ قال: «يُبْتَلَوْنَ في أنفسهم، وأموالهم»[2]، وكما في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]، عن قتادة رحمه الله، قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ يقول: «بلاء»[3]، ونحو ذلك من الآيات.

٢- البؤس:

تعود لفظة البؤس إلىٰ جذرها اللُّغوي (بَأَسَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «ثلاثًا وسبعين»[4]، والبؤس في اللُّغة: «الشدَّة، والفقر، والبائس: المبتَلَىٰ»[5]، وقد جاء البؤس بمعنىٰ شدَّة الفقر والبلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقوله: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ معناه: «شدَّة الفقر، والضِّيق في المعيشة»[6]، وكما في قوله سبحانه: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، ومعنىٰ قوله: ﴿ٱلْبَآئِسَ﴾ هو: «الذي به ضرُّ الجوع، والزَّمانة والحاجة»[7]، ونحو ذلك من الآيات.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٣١٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٧).

(٣) المرجع السابق (٢٣/ ٤٢٦).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ١١٣-١١٤).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (٦/ ٢٠-٢١).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٤).

(٧) المرجع السابق (١٨/ ٦١١).

٣- الضُّرُّ:

تعود لفظة الضُّرِّ إلىٰ جذرها اللُّغوي (ضَرَرَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «أربعًا وسبعين»(١)، ومعناها في اللُّغة: «الهزال، وسوء الحال»(٢)، ويقول آخر: «الشدَّة، والبلاء»(٣)، وقد جاء الضُّرُّ بمعنىٰ الشدَّة والبلاء كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] قال ابن قتيبة: «والضَّرَّاء: البلاء»(٤)، وقال ابن جرير: «والضَّرَّاء هي الأسقام، والعلل العارضة في الأجسام»(٥)، وكما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر: ٨]، عن قتادة ﷺ في قول الله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ قال: «الوجع، والبلاء، والشدَّة»(٦)، ونحو ذلك من الآيات.

٤- المصيبة:

تعود لفظة المصيبة إلىٰ جذرها اللُّغوي (صَوَبَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «سبعًا وسبعين»(٧)، والمصيبة في اللُّغة: «الأمر المكروه ينزل بالإنسان»(٨)، وقد جاءت المصيبة بمعنىٰ الشدَّة والبلاء كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]،

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٥١١-٥١٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٧٢٠).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (١/ ٤٠٣).

(٤) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ١٣٤).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٥).

(٦) المرجع السابق (٢١/ ٢٦٢).

(٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤١٥-٤١٦).

(٨) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٥٣٥).

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ فمعناه: «بليَّة، وشدَّة»(١)، وكقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢]، والمصيبة في الأرض هي: «قحط المطر، وقلة النَّبات، ونقص الثِّمار، وغلاء الأسعار، وتتابع الجوع»(٢)، والمصيبة في الأنفس هي: «الأمراض، والفقر، وذهاب الأولاد، وإقامة الحدود عليها»(٣)، ونحو ذلك من الآيات.

٥- السُّوء:

تعود لفظة السُّوء إلىٰ جذرها اللُّغوي (سَوُءَ)، وقد بلغ عدد الكلمات الكلي لهذا الجذر في القرآن الكريم؛ «مائة وسبعًا وستين»(٤)، والسُّوء في اللُّغة: «اسم للضُّرِّ، وسوء الحال»(٥)، وعن مجاهد رحمه الله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥]، قال: «السَّيِّئة: الشَّرُّ»(٦). وقد جاء السُّوء بمعنىٰ الضرِّ والبلاء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: «الضرُّ، والفقر، والجوع»(٧)، وكقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، عن ابن جُرَيج رحمه الله، قوله: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ قال: «الضرُّ»(٨)، كما وردت لفظة السُّوء في كثير

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (١/ ٩٦٦).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/ ٤٦٦).

(٣) المرجع السابق (٢٩/ ٤٦٦).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٣٦٧-٣٧٠).

(٥) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٩٨).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٢/ ٥٧٤).

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٥٧).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٤٨٥).

من المواضع بمعنى السيِّئة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [آل عمران: ١٢٠]؛ أي: «مصيبة ومكروه»(١)، وكقوله أيضًا: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ أي: «بلاء، وعقوبة»(٢)، وقوله: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]، ويعني بـ ﴿سَيِّئَةٞ﴾: «شدَّة من جدب، وقحط، وبلاء في الأموال والأبدان»(٣)، ونحو ذلك من الآيات.

المطلب الخامس:
الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة

لا شكَّ أنَّ البلاء يختلف بين كونه رحمةً للنَّاس، وكونه عقوبةً لهم.

فيكون رحمةً للنَّاس بثلاثة معانٍ:

فالأوَّل: الإنعام والإفضال، والمقصود أنَّ الله تبارك وتعالى يُنعم علىٰ جميع خلقه بنعمه الظَّاهرة والباطنة، قال تعالىٰ علىٰ لسان رسوله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

والثاني: التَّطهير والتكفير، والمقصود أنَّ الله تبارك وتعالى يطهِّر المسلمين خصوصًا بما كسبت أيديهم من الآثام والمعاصي، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠].

والثالث: التَّأخير والإمهال، والمقصود أنَّ الله تبارك وتعالى يمهل النَّاس عمومًا،

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٩٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٤٧).

(٣) المرجع السابق (٢٠/ ١٠٢).

ولا يعجِّل لهم العقوبة علىٰ اقترافهم المعاصي، مِن كفر لأنعم الله، ومن فساد في برِّ الأرض وبحرها، ومن ظلم وطغيان؛ حتىٰ يتوبوا علىٰ ما صدر منهم من تفريط في جنب الله، وتقصير في الأعمال التي تُرضي الله ﷻ، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد يكون عقوبةً للنَّاس بثلاثة معانٍ:

فالأوَّل: الرَّدع، والمقصود أنَّ الله ﷻ شرع عقوبات رادعة مغلَّظة من حدود وقصاص وتعازير شرعيَّة علىٰ مرتكبي المعاصي، والجرائم والسَّاعين في الأرض فسادًا؛ لأجل ضبط سلوكاتهم، وردعهم عن اقتراف الجرائم، قال تعالىٰ -في حدِّ الزِّنىٰ تمثيلًا، لا حصرًا-: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

والثاني: الاستدراج والإملاء، والمقصود أنَّ الله ﷻ يُرغِد عيش العاصين من الكَفَرة والفسقة والجهلة لمدَّة طويلة؛ حتىٰ يغترُّوا بما هم فيه، ويعتقدون أنَّهم علىٰ خير، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

والثالث: الأخذ، والتي تأتي بعد مرحلة الاستدراج والإملاء، والمقصود أنَّ الله ﷻ يوقع عقوبة الأخذ علىٰ الكافرين بأحكامه، والمستحلِّين لمحرَّماته، والصَّادِّين عن دينه، والمؤذين لأوليائه، والسَّاعين في الأرض ظلمًا، وطغيانًا، وفسقًا، وجهلًا، وفسادًا، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

المطلب السادس:
اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم

لقد ورد فعل «بلا» باشتقاقاته، وتصريفاته المختلفة في سبعة وثلاثين موضعًا، من خلال أربع وثلاثين آية من آي الذِّكر الحكيم، منها ستَّ عشرةَ آية مكِّية، وثمانيَ عشرةَ آية مدنيَّة، وذلك في مجموع أربع وعشرين سورة[١].

والصيغ التي ورد بها فعل «بلا» في القرآن الكريم هي: ابْتَلَىٰ (١)، بَلَاءٌ (٤)، بَلَاءً (١)، مُبْتَلِيكُمْ (١)، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ (٢)، لِيَبْتَلِيَكُمْ (١)، لِيَبْلُوَكُمْ (٤)، وَلِيَبْتَلِيَ (١)، لَيَبْلُوَنَّكُمُ (١)، لَتُبْلَوُنَّ (١)، وَابْتَلُوا (١)، لَمُبْتَلِينَ (١)، نَبْلُوهُمْ (١)، ابْتُلِيَ (١)، بَلَوْنَاهُمْ (٢)، نَبْتَلِيهِ (١)، وَلِيُبْلِيَ (١)، ابْتَلَاهُ (٢)، تَبْلُو (١)، يَبْلُوكُمُ (١)، لِنَبْلُوَهُمْ (١)، وَنَبْلُوكُمْ (١)، لِيَبْلُوَنِي (١)، الْبَلَاءُ (١)، لِيَبْلُوَ (١)، وَنَبْلُوَ (١)، بَلَوْنَا (١)، تُبْلَىٰ (١).

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٥/ ٣١١).

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصِّيغ التصريفية لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم

الرَّسم البياني الأوَّل: يبيِّن عدد تكرار تصريفات فعل «بلا» في سور القرآن الكريم علىٰ حدة:

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التَّكرار	النسبة
١	اسم فاعل	**لَمُبْتَلِين** (١): ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠] **مُبْتَلِيكُمْ** (١): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]	٢	٦ ٪
٢	الفعل المبني للمجهول	**ابْتُلِيَ** (١): ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١] **تُبْلَىٰ** (١): ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] **لَتُبْلَوُنَّ** (١): ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]	٣	٨ ٪
		ابْتَلَىٰ (١): ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] **بَلَوْنَاهُمْ** (٢): ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ [القلم: ١٧]		

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التَّكرار	النسبة
٣	الفعل المبني للمعلوم	**ابْتَلاهُ (٢)**: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥] ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] **بَلَوْنَا (١)**: ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧] **لَنَبْلُوَنَّكُمْ (٢)**: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ﴾ [البقرة: ١٥٥] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١] **ابْتَلُوا (١)**: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٦] **لِيَبْتَلِيَكُمْ (١)**: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] **لِيَبْلُوَكُمْ (٤)**: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] **وَلِيَبْتَلِيَ (١)**: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]	٢٦	٧٠٪

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التكرار	النسبة
		لَيَبْلُوَنَّكُمُ (١): ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة: ٩٤] نَبْلُوهُمْ (١): ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] نَبْتَلِيهِ (١): ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الانسان: ٢] وَلِيُبْلِيَ (١): ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٧] لِيَبْلُوَنِي (١): ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] لِيَبْلُو (١): ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] وَنَبْلُو (١): ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. لِنَبْلُوَهُمْ (١): ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]. وَنَبْلُوكُمْ (١): ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥] يَبْلُوكُمُ (١): ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ [النحل: ٩٢]		

	صيغ التصريف	عدد الصيغ	التَّكرار	النسبة
		تَبْلُوا (١): ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٖ مَّآ أَسْلَفَتْۚ﴾ [يونس: ٣٠]		
٤	الاسم	بَلَاءً (١): ﴿بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: ١٧] بَلَاءٌ (٤): ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦/ الأعراف: ١٤١/ إبراهيم: ٦] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣] الْبَلَاءُ (١): ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]	٦	١٦٪
	المجموع	٤ صيغ	٣٧ مرة	١٠٠٪

الرسم البياني الثاني: يبين نسبة تكرار صيغ التصريف لفعل «بلا» في القرآن الكريم

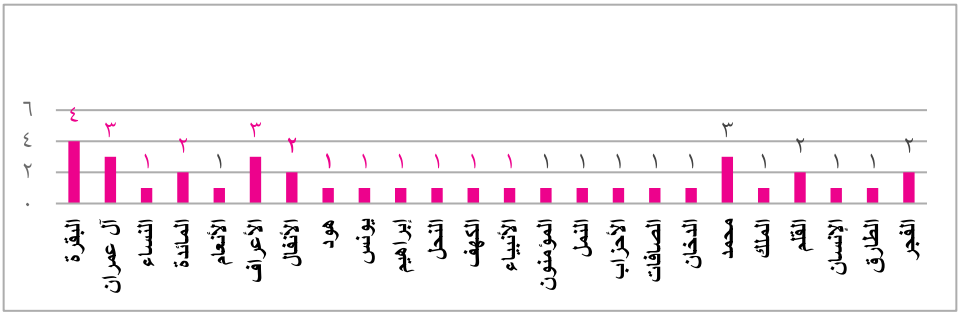

الرسم البياني الثالث: يبيِّن نسبة الآيات التي تحدَّثت عن البلاء والابتلاء

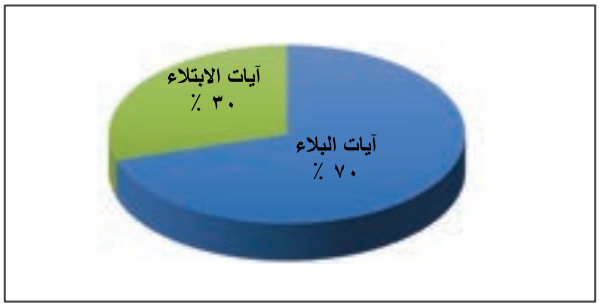

الرّسم البياني الرابع: يوضِّح نسب الصيغ التصريفية التي ذكر بها فعل بلا في القرآن الكريم

الرّسم البياني الخامس: يوضِّح نسبة ذكر تصريفات فعل «بلا» في الآيات المكيَّة والمدنيَّة

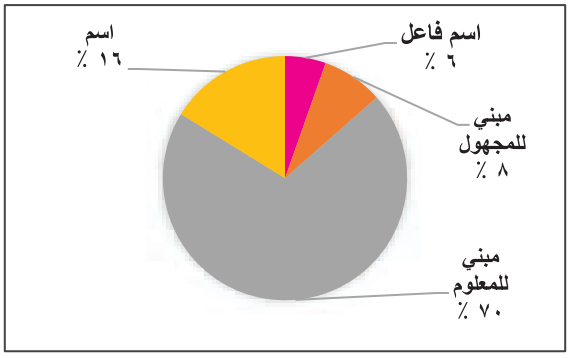

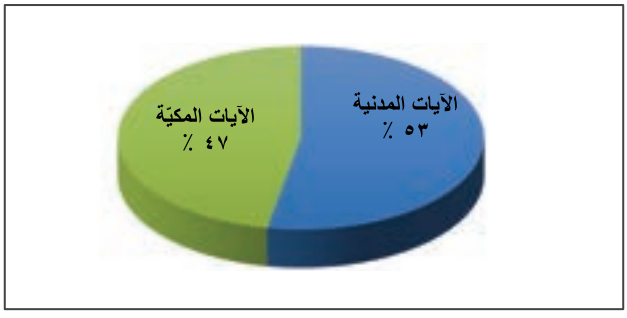

المطلب الثامن:

تحليل نتائج الرُّسومات البيانية:

١. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذُكر في القرآن الكريم سبعًا وثلاثين مرة، منها إحدىٰ وعشرين مرة في النصف الأول، وستَّ عشرة مرة في النصف الثاني.

٢. نستنتج أنَّ فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، ذكر في القرآن الكريم سبع وثلاثين مرَّة من خلال أربع صيغ، وهي: اسم الفاعل (٢)، المبني للمجهول (٣)، المبني للمعلوم (٢٦)، والاسم (٦).

٣. نستنتج تكرار فعل «بلا» بصيغه المختلفة في مختلف السور علىٰ النَّحو الآتي:

- ✓ **اسم فاعل**: تكرَّر ذكره مرتَيْن في سورتَيْن هما: البقرة، والمؤمنون، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٦٪.
- ✓ **صيغة الفعل المبني للمجهول**: تكرَّر ذكرها ثلاث مرات في ثلاث سور قرآنية، هي: آل عمران، الأحزاب، والطلاق، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٨٪.
- ✓ **صيغة الفعل المبني للمعلوم**: تكرَّر ذكرها ستًّا وعشرين مرة في ثمانيَ عشرةَ سور قرآنية، هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، هود، يونس، النحل، الكهف، الأنبياء، النمل، محمد، الملك، القلم، الإنسان، الفجر، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ٧٠٪.
- ✓ **صيغة الاسم**: تكرَّر ذكرها ست مرات في ست سور قرآنية، هي: البقرة، الأعراف، الأنفال، إبراهيم، الصافات، والدخان، وهذا بنسبة مئوية قدِّرت بـ: ١٦٪.

٤. نلاحظ أنَّ عدد السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة أربع وعشرون سورة، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الأحزاب، الصافات، الدخان، محمد، الملك، القلم، الإنسان الطارق، الفجر.

٥. يلاحظ في مجموع السور التي ورد فيها فعل «بلا» باشتقاقاته المختلفة، سبع عشرة سورة مكية، وسبع سور مدنية، ، فالمكية: الأنعام، الأعراف، يونس، هود، إبراهيم، النحل، الكهف، الأنبياء، المؤمنون، النمل، الصافات، الدخان، الملك، القلم، الإنسان، الطارق والفجر، والمدنية هي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، الأحزاب ومحمد ﷺ.

٦. يلاحظ أنَّ الآيات المدنيَّة التي ورد فيها لفظ «بلا» باشتقاقاته المختلفة بلغت نسبتها ٥٣ بالمائة، بينما المكيَّة بلغت نسبتها ٤٧ بالمائة.

٧. يلاحظ أنَّ نسبة الآيات التي تحدثت عن البلاء بلغت ٧٠ بالمائة، بينما نسبة الآيات التي تحدثت عن الابتلاء بلغت ٣٠ بالمائة، وهذا يؤيِّد ما تمَّ التوصُّل إليه سابقًا؛ أنَّ بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فكل بلاء ابتلاء، وليس كلُّ ابتلاء بلاء.

٨. يلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المدنية، وأنَّها عُنيت بالتكاليف والنهي والضِّيق، وهذا يؤيِّد قاعدة أنَّ القرآن المدني اهتمَّ اهتمامًا بارزًا بالعبادات، والتَّكاليف بما يُطاق، والحرص علىٰ تطهير القلوب من الأمراض القلبية، وميز خبيثها عن طيِّبها؛ لأجل تهيئتها في آخر المطاف إلىٰ حمل أعباء رسالة الإسلام، والدَّعوة إلىٰ الله ﷻ، والجهاد في سبيله.

٩. ويلاحظ تكرار آيات البلاء والابتلاء في السور المكية، وأنَّها عُنيت بتبليغ

الدعوة، والاتعاظ بقصص الأولين، ويوم الحساب، والمصائب، والنعم، والوفاء بالعهد، وعدم الغدر، وهذا يؤيد قاعدة أنَّ القرآن المكي اهتم اهتمامًا بارزًا بتزكية النفوس، ودعوتها إلىٰ الإيمان بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره، والالتزام بالعهود، والمواثيق، وعدم نقضها.

١٠. يستفاد من خلال ورود تصريفات «بلا» في الآيات المكية والمدنية؛ ضرورة الشُّكر علىٰ المسارِّ، والصَّبر علىٰ المضارِّ، وتحمُّل التكاليف والنواهي.

١١. ونلاحظ أن مصدر «البلاء» باشتقاقاته المختلفة ضُمِّن في ثمانية عشر محورًا رئيسًا في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالىٰ إبراهيم ﷺ بتكليفه ذبح ولده إسماعيل، فسارع إلىٰ ذلك ممتثلًا لأمر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].
- اختبار الله تعالىٰ سليمان ﷺ بإحضار العرش إليه؛ ليرىٰ منه أيشكر أم أيكفر، وما كان منه إلَّا أن اعترف بفضل ربه عليه وشكر نِعَمَه، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بالمال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك؛ ليرىٰ المحسن من المسيء، وضدَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بالمصائب تارةً، وبالنِّعَم أُخرىٰ؛ لينظر من يشكر، ومن يكفر، ومن يصبر، ومن يقنط، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].
- اختبار الله تعالىٰ عباده بإيجاد الموت والحياة؛ ليرىٰ منهم أيهم أكثر استعدادًا

للموت، وأسرع إلىٰ طاعة ربه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

- اختبار الله تعالىٰ كل نفس مؤمنة أو كافرة في موقف الحساب يوم القيامة علىٰ ما عملت من خير أو شر، وترىٰ الجزاء المناسب عن كل عمل؛ ليقضىٰ الله بينهم بقضائه العادل، قال تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠]، وقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

- اختبار الله تعالىٰ عباده عن طريق خلق السموات والأرض، وكسوتهما بالزينة، وترتيبه فيهما جميع ما يحتاجون إليه من أسباب المعاش؛ ليتميز المطيع من العاصي، فيثيب المطيعين، ويعاقب العاصين، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

- اختبار الله تعالىٰ بني اسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب؛ لأجل استخراج الشُّكر علىٰ المسارِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، [الأعراف: ١٤١]، [إبراهيم: ٦].

- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بظهور السَّمك في اليوم المحرم عليهم صيده؛ ليترتب الجزاء علىٰ عملهم بسبب فسقهم المستمر عن أمر ربهم، وتعديهم حدود شرعه، قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بالنِّعَم والنِّقَم؛ رجاء أن يرجع العصاة منهم إلىٰ طاعة ربهم، ويتركوا ما نُهوا عنه من المعاصي والسيئات حين يرون حسن حال الصالحين، وسوء حال من هم دون ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

- اختبار الله تعالىٰ بني إسرائيل بالحُجج والبراهين وخوارق العادات الدالة علىٰ صدق رسلهم؛ ليتميز الخبيث من الطيب، والكافر من المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المؤمنين بنعمة النصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشُّكر منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ١٧].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المؤمنين بأمره إياهم بالوفاء والعهد، وألا يغدروا لكثرتهم، وقلة أعدائهم، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ [النحل: ٩٢].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بقليل من الضَّرَّاء؛ لأجل استخراج الصَّبر علىٰ المضارِّ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

- اختبار الله تعالىٰ عباده فيما آتاهم من الشرائع مختلفة؛ ليثيبهم علىٰ طاعته أو يعاقبهم علىٰ معصيته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بإرسال شيء كثير من الصيد في الوقت

المحرم عليهم صيده، وهو وقت الإحرام والحلول في الحرم؛ ليعلم من يخافه في السِّر والجهر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤].

- اختبار الله تعالىٰ عباده المسلمين بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشَّاقة؛ حتىٰ يتميز قويُّ الإيمان من ضعيفه، والصادق من المنافق، والمجاهد من المتخلف، قال تعالىٰ: وقوله: ﴿ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١].

- اختبار الله تعالىٰ مشركي قريش بالقحط والجوع بعد جحودهم لنعمة الخير، وتكذيبهم لرسول ﷺ، كما اختبر من قبلهم أصحاب الجنة، بأن دمَّرها تدميرًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ﴾ [القلم: ١٧].

١٢. ونلاحظ أيضا أن مصدر «الابتلاء» باشتقاقاته المختلفة ضُمِّن في تسعة محاور رئيسة في القرآن، هي:

- اختبار الله تعالىٰ إبراهيم عليه السلام بما كلفه به من الأوامر والنواهي، فقام بها كلها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

- اختبار الله تعالىٰ جنود طالوت قبل ملاقاتهم جالوت وجنوده؛ حتىٰ يتميز من يصبر علىٰ الحرب ممن لا يصبر، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين يوم أُحد بزيادة في عدد جرحاهم وشهدائهم

علىٰ عدد الجرحىٰ والقتلىٰ من المشركين؛ حتىٰ يتبيَّن الخبيث من الطيب، ويتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والصابر من غيره، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٤].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين بنزول الأحزاب حول المدينة وهم محصورون في غاية الجهد والضيق؛ ليظهر المخلص من المنافق، والراسخ من المتزلزل، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

- اختبار الله تعالىٰ المسلمين بألوان المصائب؛ ليتميز الصادق من المنافق، والصابر من المضطرب، والثابت من الخائف، قال تعالىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

- اختبار الله للأوصياء حول اليتامىٰ المقاربين للرشد بدفع شيء من أموالهم؛ حتىٰ يتبين بذلك رشدهم من سفههم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

- اختبار الله تعالىٰ نوحًا عليه السلام بتكذيب قومه وأذاهم إياه والمؤمنين معه؛ ليميز الله للناس الخبيث من الطيب، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٢٩ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩-٣٠].

- اختبار الله الإنسان بالتكاليف، بعد إرشاده إلىٰ طريق الحق وتزويده بالعقل؛ للتفكر في آيات الله الدالة علىٰ وحدانيته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الانسان: ٢].

- اختبار الله تعالىٰ الإنسان بالسعة والضِّيق؛ ليستخرج منه الشُّكر والصَّبر، والكفر والجزع، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

المبحث الثاني:

مقاصد البلاء في القرآن الكريم

ليس من شكٍّ أنَّ البلاء بالخير والشَّرِّ الذي ينزل علىٰ النَّاس لا يخلو من مقاصد وغايات وحِكَم وأغراض، عَلِمَها من عَلِم، وجَهِلَها من جَهِل، فما علمناه سيأتي الحديث عنه في هذا المبحث، وأمَّا ما جهلناه فكثير جدًّا وَفقًا لاتِّساع معلومات الله ﷻ وحِكَمِه، وإنها غير متناهية، ولذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقد ضرب الله مثلًا علىٰ اتِّساع علمه وحكمته بأنَّه لو كُتِبَ علم الله بمداد البحر لاندثر البحر ولم يندثر علم الله، فقال تعالىٰ ذكره: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] والمراد بكلمات ربي: «كلام الله، وعِلْمه، وحِكْمته»[(١)]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧]. ويهدف هذا المبحث إلىٰ تبصير النَّاس بمقاصد البلاء الواردة في القرآن الكريم؛ حتىٰ يحسن تعاملهم مع هذه السُّنَّة الكونيَّة، وذلك باستحضار قول الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ويتضمَّن هذا المبحث اثني عشر مطلبًا، هي:

المطلب الأوَّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٥/ ٢٥١).

المطلب الثاني: البلاء بمقصد استخراج التوكُّل.

المطلب الثَّالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء.

المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر.

المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا.

المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر.

المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة.

المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرَّحمة.

المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص.

المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج.

المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف.

المطلب الثَّاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة.

المطلب الأوَّل:

البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده

وردت مادة «عبد» في مائتين وخمسة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«العبادة» مصدر الفعل الثلاثي: عَبَدَ، يَعبُد، عِبادةً، وعُبُوديَّةً، فهو عابِد، والمفعول مَعْبود، وفي معاني القرآن: «العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق مُعَبَّدٌ، إذا كان مذلَّلًا بكثرة الوطءِ، فمعنىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: نطيعُ الطَّاعة التي نخضع معها، وقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة: ٦٠]، أي: «أطاع الشَّيطان فيما سوَّل له وأغراه به»(٢)، وفي الصِّحاح: «وأصل العبودية الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، يقال: طريق مُعَبَّد، والبعير المعبد: المهنوء بالقطران المذلل، والتعبد: التنسك»(٣)، وجاء في اللِّسان أنَّ: «أصل العبوديَّة الخضوع والتذلُّل، فلان عابد، وهو الخاضع لربِّه المستسلم المُنقاد لأمره»(٤)، ومعنىٰ العبادة في اصطلاح المفسِّرين هي: «الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة، والإقرار له بالربوبية، لا لغيره»(٥)، وعرَّفها آخر بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبُّه الله تعالىٰ ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(٦)، ويقول غيره: هي:

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٤١-٤٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٨)، (٢/ ١٨٧).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٩/ ١٠-١٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٥٥ و٣٦٢).

(٦) العبودية، لابن تيمية (ص ٢٠).

«التعظيم لأمر الله والشَّفقة علىٰ خلق الله»(١)، ويقول آخر: هي: «إفراد الله بالعبادة، أي الاعتراف بوحدانيته»(٢)، هذا وإنَّ المعنىٰ الذي تدلُّ عليه العبادة في اللُّغة هو الطاعة، مع الخضوع، والتذلُّل، والانقياد، والاستسلام طوعًا، أو كرهًا، غير أنَّ العبادة في الاصطلاح لا تقتصر علىٰ هذه المعاني فحسب، وإنَّما تشتمل علىٰ معنىٰ الحبِّ أيضًا، فهي تتضمَّن غاية الذُّلِّ لله، وغاية المحبَّة له، وغاية الاتِّباع له، وغاية التديُّن له، وغاية الانقياد لشرعه، وغاية الخضوع لمشيئته، فيجب أن يكون الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ شيء، وأن تكون شريعة الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ الشَّرائع. لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «العبادة المأمور بها تتضمَّن معنىٰ الذُّلِّ ومعنىٰ الحبِّ، فهي تتضمَّن غاية الذُّلِّ لله بغاية المحبَّة له، ومَن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبَّ شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، كما قد يحبُّ ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالىٰ، بل يجب أن يكون الله أحبَّ إلىٰ العبد من كلِّ شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كلِّ شيء، بل لا يستحقُّ المحبَّة والخضوع التَّامَّ إلا الله(٣)، ومن هنا يمكننا تعريف العبادة علىٰ أنها: إفرادُ من بيده الأمر سبحانه بالطَّاعة، قولًا وفعلًا واعتقادًا، مع غاية الخضوع والمحبَّة له، ولا يُشرَكُ معه في الطَّاعة غيره؛ لأنَّ غيره ليس بيده الأمر، وامتثالُ جميع تكاليفه التشريعية من الأوامر، والنَّواهي، وإرضاؤه.

لقد بيَّن الله تعالىٰ المقصد الأسنىٰ من العبادة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وجملة قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ تعليل للأمر بـ ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾، والمعنىٰ: «لتتقوا سَخَطه وغضَبه أن يَحلَّ عليكم،

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٢٨/ ١٩٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٤/ ١٨٢).

(٣) العبودية، لابن تيمية (ص ٤٩).

وتكونُوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم»[1]، وهذا دليل علىٰ أنَّ ترك الخضوع لله بالطاعة والإقرار له بالوحدانية موجب للقوارع والجوائح والمصائب التي تصيب بعض بني البشر، ويؤيِّد هذا ما أخبر الله تعالىٰ به في مواضع من كتابه عن سُنته في الأمم المستنكفة عن طاعته والمكذبة برسله كيف أنه أبادهم بأنواع من المصائب، يقول تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: «وهم قوم لوط»[2]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: «وهم قوم ثمود، ومدين»[3]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: «وهم قارون وأصحابه»[4]، وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ أي: «قوم نوح وفرعون وقومه»[5]، وقد دلَّت آيات كثيرة في القرآن الكريم علىٰ النتائج السيِّئة، والعواقب الوخيمة النَّاشئة عن الإعراض عن طاعة الله جل وعزَّ، أو الشَّكِّ فيها، أو الإشراك فيها، فمنها الإنذار بالصَّاعقة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣-١٤]، ومنها الوعيد بالمعيشة الضيِّقة المليئة بالهموم، والغموم، والأحزان، وسوء العاقبة كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٦٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٤/ ١٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٤/ ١٦٩).

(٤) المرجع السَّابق (٤/ ١٦٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٣٧).

ومنها تهيئة القرناء من الشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، ومنها الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنَّة المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومنها الخسران في الدُّنيا، والآخرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وقوله: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ فمعناه: «صحَّة في جسمه وسعة في معيشته»(١)، وقوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾، فمعناه: «شرٌّ وبلاء في جسده وضيق في معيشته»(٢)، قال المفسرون: «نزلت في أعراب كانوا يقدمون علىٰ رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة، فإن صحَّ بها جسمه، ونتجت فرسه مُهرًا حسنًا، وولدت امرأته غلامًا، وكثر ماله وماشيته، رضي عنه واطمأنَّ، وقال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلَّا خيرًا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وأجهضت رِمَاكُهُ، وذهب ماله، وتأخَّرت عنه الصَّدقة، أتاه الشَّيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت علىٰ دينك هذا إلا شرًّا، فينقلب علىٰ دينه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾»(٣). والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا.

وأمَّا التَّائبون إلىٰ الله، والخاضعون لطاعته؛ فينجيهم بذلك من مصائب الدُّنيا،

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٤٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٣٠).

(٣) أسباب نزول القرآن، للواحدي (١/ ٣٠٧)، وأخرج معناه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] شك، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، برقم (٤٧٤٢).

ويرفع عنهم شدائدها، كما أخبر تعالىٰ عن قوم يونس ﷺ الذين آمنوا قبل نزول العذاب، فنفعهم إيمانهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس: ٩٨]، وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومن تدبَّر أحوال العالم، وجد كلَّ صلاح في الأرض؛ فسببه توحيد الله، وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكلَّ شرٍّ في العالم، وفتنة، وبلاء، وقحط، وتسليط عدوٍّ، وغير ذلك؛ فسببه مخالفة الرَّسول ﷺ، والدَّعوة إلىٰ غير الله»(١). ومن المواقف العمليَّة التي كان يستعين بها رسول الله ﷺ علىٰ مواجهة الأحداث المفاجئة، الإسراع إلىٰ عبادة الصَّلاة، فرُوي عن حذيفة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلىٰ»(٢)، ورُوي أيضًا عن أبي الدَّرداء وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، عن الله ﷻ أنه قال: «**ابن آدم، اركع لي أربع ركعات من أول النهار، أكفِكَ آخره**»(٣).

◆ ◆ ◆

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (١٥/ ٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل برقم (١٣١٩)، كما أخرجه: أحمد في مسنده: أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ برقم (٢٣٢٩٧). وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٣١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحىٰ، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب الصاد، القاسم بن عبد الرحمن بن يزيد الشامي مولىٰ معاوية، عن أبي أمامة، برقم (٧٧٤٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٤٧٥).

المطلب الثَّاني:
البلاء بمقصد استخراج التوكُّل

لقد ورد لفظ «التوكُّل» في سبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«التوكُّل» مصدر الفعل الثلاثي وَكَلَ، ولكن زِيد فيه تاء في أوَّله، وضُعِّفَت عينُه في وسطه؛ ليصير علىٰ وزن تفعَّل، وهي صيغة الفعل الثلاثي المزيد بحرف: توكَّلَ، يتوكَّل، توكُّلًا، فهو متوكِّل، والمفعول مُتوكَّل عليه، وأصل التوكل في اللُّغة مركَّب من: «(وَكَلَ) الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدلُّ علىٰ إظهار العجز في الأمر والاعتماد علىٰ غيرك»(٢)، والتوكُّل في اصطلاح المفسِّرين هو: «التعويل علىٰ من يدبِّر أمره، وفيه ملاحظة عظمة الله وقدرته، واعتقاد الحاجة إليه، وعدم الاستغناء عنه»(٣). والحاصل أنَّ التوكُّل هو: عمل قلبيٌّ، يستشعر العبد من خلاله شدَّة حاجته إلىٰ الله في تدبير جميع أموره، وذلك بالاعتماد عليه وحده، وقد يصاحب هذا الافتقار القول باللِّسان (حسبنا الله ونعم والوكيل)، كما قد يصاحبه دعاء التوكُّل المعروف بصلاة الاستخارة.

إنَّ القرآن الكريم مملوء بالحديث عن موضوع التوكُّل، وحثِّ العباد علىٰ التحلِّي به، ومن مقاصد البلاء؛ هو إظهار المبتَلَىٰ عجزه في دفع البلاء الذي أَلَمَّ به من جهة، ومن جهة ثانية إظهار المبتَلَىٰ اعتماده وحاجته وافتقاره إلىٰ الله ﷻ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٧٢٦-٧٢٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٣٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ٨)، (٤/ ١٥١-١٥٢).

وحده لتدبير أمره، ومن جهة أخرىٰ الإخلاص في إسناد الأمور إلىٰ الله وحده لأنَّ تفويضها إلىٰ غير الله ليس من الهدىٰ، ولا يليق مع مقام التوحيد، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، ومعنىٰ الوكيل هو: «من يتوكل عليه، فتفوَّض الأمور إليه، ليأتي بالخير، ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده ﷻ، ولهذا حذَّر من اتخاذ وكيل دونه، لأنه لا نافع ولا ضارَّ، ولا كافي إلَّا هو وحده ﷻ، عليه توكَّلنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[(١)].

كان من دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، والمعنىٰ: «وإذا سقم جسمي واعتلَّ، فهو يُبرئه ويعافيه»[(٢)]، ويلاحظ في الآية خُلُق الأدب في التخاطب مع الله؛ حيث إنَّ إبراهيم عليه السلام نسب المرض إلىٰ نفسه، ولم ينسبه إلىٰ ربِّه ﷻ، هذا ووجه الدلالة في الآية أنَّ الله يبتلي عباده بالمرض، والجراحة، والألم في الجسد؛ لأجل أن يتوكَّلوا عليه وحده في دفعها؛ لذا ينبغي للمريض أن يتوكَّل علىٰ الله خالق الأسباب، وألَّا يتعلَّق قلبه بالأسباب، كالمستشفيات والأطباء، والواجب أن يكون تعلُّق القلب بالذي أنزل الدَّاء والدَّواء، فالذي أنزل المرض قادر علىٰ أن يرفعه، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

هذا وإنَّ التوكُّل علىٰ الله تبارك أعلىٰ مقامات التوحيد؛ لِمَا فيه من بَوْء العبد بعجزه في مدافعة المضارِّ إلا بإذن الله تعالىٰ، قال سعيد بن جبير: «التوكُّل علىٰ الله جِماع الإيمان»[(٣)]، ولهذا عُدَّ التوكل عملاً قلبيًّا، فهو ليس بقول اللِّسان، ولا بعمل

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٣/ ١٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٣٦٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤/ ١٢).

الجوارح، كما عبَّر بذلك ابن القيم في المدارج[1]. ولا يكون التوكُّل كاملاً، إلاَّ بعد بذل الجهد المادِّي، والجهد المعنوي في دفع المضارِّ، أو تدبير الأمور، والجهد المادِّي يعبَّر عنه باتخاذ الأسباب الماديَّة، مثل طلب العلاج لمن ابتُلِي بالمرض، أو طلب الرزق لمن ابتُلِي بالفقر، وغير ذلك، أما الجهد المعنوي فيعبَّر عنه باتِّخاذ الأسباب المعنوية المكمِّلة للتوكُّل، مثل: الدُّعاء، والتضرُّع إلىٰ الله، وحسن الظنِّ به، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجء، والرَّغبة، والرَّهبة إليه، وغير ذلك. ومن أجمل معاني التوكُّل علىٰ الله، والاستعانة به وحده وقت الشِّدَّة؛ موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم في غزوة حمراء الأسد؛ حيث يخبرنا القرآن الكريم أن المشركين توعَّدوا النبي محمدًا ﷺ، وصحبه رضوان الله عليهم؛ بالقتل والأسر والأذىٰ، وخوَّفوهم بكثرة العدد، وشدَّة البطش، فلم يكترثوا لذلك، بل توكَّلوا علىٰ الله، واستعانوا به، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقد صحَّ عن ابن عباس رضي الله عنهما: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النَّار، وقالها محمد ﷺ» حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] [2]، وكذلك موقف النبي ﷺ، وصحابته رضوان الله عليهم، في غزوة الأحزاب، حيث يصوِّر لنا القرآن الكريم تلك السَّاعات العصيبة التي عاشها المسلمون وقتذاك، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١١]، وقوله: ﴿ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (٢/ ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٣]، برقم (٤٥٦٣).

﴿زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾ فمعناه: «مُحِّصوا، وحُرِّكوا بالفتنة تحريكًا شديدًا، وابتُلوا وفُتِنوا»[(١)]، وفي هذا الجوِّ العصيب، يخبرنا الله تعالىٰ أنَّ المؤمنين الصَّادقين بوعد الله، وبنصر رسالته، توكَّلوا علىٰ الله حقَّ توكُّله، فبذلوا النَّفس والنَّفيس في سبيل نصرة الدِّين فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وعن ابن رومان قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ قال: «صبراً علىٰ البلاء، وتسليمًا للقضاء، وتصديقًا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله»[(٢)]، وقد صحَّ عن عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قوله: دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب علىٰ المشركين، فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[(٣)]. ومن التَّطبيقات العمليَّة للتوكُّل ما سنَّه النبيُّ ﷺ لأمَّته في دعاء التوكُّل المعروف بصلاة الاستخارة، وهما ركعتان يصلِّيهما المسلم إذا احتار بين أمرَيْن أيِّهما يختار، داعيًا الله بدعاء مخصوص أن يوفِّقه إلىٰ خير الأمرين، وصلاة الاستخارة هي بمثابة التوكُّل العملي علىٰ الله، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان النَّبيُّ ﷺ يعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلِّها، كالسُّورة من القرآن: «إذا همَّ بالأمر فليركع ركعتَيْن ثم يقول: اللَّهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب، اللَّهمَّ إن كنت تعلم أنَّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٢٢٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء علىٰ المشركين بالهزيمة والزلزلة، برقم (٢٩٣٣).

أمري وآجله- فاصرفه عنِّي واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به. ويسمِّي حاجته»[١]. ومن وصايا رسول الله ﷺ في أدعية الصَّباح والمساء، ما رواه عثمان بن عبدالله بن مَوْهَب رحمه الله قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقولي إذا أصبحت، وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين**»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه[٢].

المطلب الثَّالث:

البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء

لقد ورد لفظ «الدُّعاء» في مائتين واثني عشر موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة[٣].

و«الدُّعاء» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المعتلِّ النَّاقص: دعا، يَدعُو، ادْعُ، دُعَاءً، ودَعْوَةً، ودَعْوَىٰ، فهو داعٍ، والمفعول مَدْعُوٌّ، وأصل الدُّعاء في اللُّغة مركب من: «(دَعَوَ) الدَّال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاء»[٤]، وفي اللِّسان: «الدُّعاء:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، وأما حديث رافع بن خديج، برقم (٢٠٠٠)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب الخاء، من اسمه خالد، برقم (٤٤٤)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٢٧).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٢٥٧-٢٦٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ١٣٦).

الرَّغبة إلىٰ الله ﷻ، دعاه دعاء ودعوىٰ؛ ويقال: دعوت الله له بخير وعليه بشر، ومنه الحديث: «فإنَّ دعوتهم تحيط من ورائهم»(١)، أي: تحوطهم وتكنفهم وتحفظهم، ومعنىٰ الدُّعاء لله علىٰ ثلاثة أوجه: فضرب منها توحيده والثَّناء عليه، كقولك: يا الله، لا إله إلا أنت، وكقولك: ربَّنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربَّنا، ثم أتيت بالثَّناء والتَّوحيد، ومثله قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]؛ فهذا ضرب من الدُّعاء، والضَّرب الثاني مسألة الله العفو والرَّحمة وما يقرِّب منه تعالىٰ، كقولك: اللهمَّ اغفر لنا، والضَّرب الثالث مسألة الحظِّ من الدُّنيا، كقولك: اللَّهمَّ ارزقني مالًا وولدًا، وإنَّما سمِّي هذا جميعه دعاءً لأنَّ الإنسان يُصَدِّر في هذه الأشياء بقوله يا الله، يا ربِّ، يا رحمن؛ فلذلك سمِّي دعاءً»(٢)، أمَّا الدُّعاء في اصطلاح المفسِّرين فهو: «النِّداء لطلب مهمٍّ، واستُعمل مجازًا في العبادة؛ لاشتمالها علىٰ الدُّعاء، والطَّلب بالقول، أو بلسان الحال، كما في الرُّكوع والسُّجود»(٣)، ويرىٰ آخر أنَّ الدُّعاء: «يطلق علىٰ سؤال العبد من الله حاجته، وهو ظاهر معناه في اللُّغة، ويطلق علىٰ عبادة الله علىٰ طريق الكناية؛ لأنَّ العبادة لا تخلو من دعاء المعبود بنداء تعظيمه، والتضرُّع إليه، وهذا إطلاق أقلُّ

---

(١) الحديثه بطوله عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها؛ فرُبَّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من ورائهم**»، أخرجه الترمذي في سننه: أبواب العلم، باب ما جاء في الحث علىٰ تبليغ السماع، برقم (٢٦٥٨)، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب الخطبة، يوم النحر برقم (٣٠٥٦)، قال الألباني في صحيح وضعيف الترمذي: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٢٥٧-٢٦١).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٨٢).

شيوعًا من الأوَّل»[1]، مما سبق من تعريفات للدُّعاء في اللُّغة والاصطلاح يتبيَّن لنا أنَّه يدور حول النِّداء لطلب مُهمٍّ، وسؤال العبد من الله تعالىٰ حاجته.

ومن حالات الدُّعاء التي تَظهر علىٰ الدَّاعي في حال الدُّعاء، مُصَدَّرًا بعبارات الثَّناء علىٰ الله تعالىٰ:

- توحيد الله، والثَّناء عليه، كقولك: «اللهمَّ ربَّنا لك الحمد»[2] بعد الرَّفع من الرُّكوع.
- سؤال الله العفو، والرَّحمة، والرِّزق، وما يقرب منه تعالىٰ، كقولك: «اللَّهمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني وارزقني»[3] بين السَّجدتَيْن.
- التضرُّع إلىٰ الله، والاستغاثة به، وصدق الافتقار، واللَّجوء، والرَّغبة والرَّهبة إليه؛ عند النَّوازل العظام، وذلك علىٰ هيئة استقبال القبلة، ومدِّ اليدَيْن، ورفع الصوت؛ إظهارًا للمسكنة، والحاجة إلىٰ الله، كقول نبيِّ الله محمَّد ﷺ لَمَّا كان يوم بدر، مادًّا يديه، وصوته، مستقبل القبلة، حتىٰ سقط رداؤه عن منكبيه: «**اللَّهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ آتِ ما وعدتني، اللَّهمَّ إنْ تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض**»[4].
- تذكُّر الله، ومناجاته في جميع الأحوال، والهيئات، كدعاء رسول الله ﷺ يوم

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لرشيد رضا (٢٤/ ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب: فضل اللهم ربنا لك الحمد، برقم (٧٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم (٢٦٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، برقم (١٧٦٣).

عرفة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير»[(١)].

والحاصل أنَّ الدُّعاء هو: توجُّه العبد إلىٰ الله تعالىٰ بتوحيده، والثَّناء عليه بما هو أهله، وسؤاله العفو والرَّحمة، والاستعانة به في قضاء الحوائج، والتضرُّع إليه لكشف البلايا، والظَّفر علىٰ الأعداء، وتذكُّره في جميع الأحوال، بذكره ومناجاته، وقراءة القرآن الكريم، والفزع إلىٰ الصَّلاة.

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن أنواع الدُّعاء، ومن ذلك قوله تعالىٰ -آمرًا عباده بدعائه جهرًا وسرًّا وخوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه-: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، والتضرُّع: «إظهار التذلُّل بهيئة خاصَّة، ويطلق التضرَّع علىٰ الجهر بالدُّعاء؛ لأنَّ الجهر من هيئة التضرُّع، لأنَّه تذلُّل جهريٌّ»[(٢)]، وفي قوله: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: ٥٦]، بيان لأغراض الدُّعاء، وأنَّه علىٰ نوعَيْن، هما: الخوف من غضب الله وعقابه، والطّمع في رضاه وثوابه، يقول ابن عاشور: «والدُّعاء لأجل الخوف نحو الدُّعاء بالمغفرة، والدُّعاء لأجل الطمَّع نحو الدُّعاء بالتَّوفيق وبالرَّحمة»[(٣)]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال لأوليائه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وعن النُّعمان بن

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٨٥)، كما أخرجه مالك في موطَّئه: كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الدعاء، برقم (٧٢٦). وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٣٥٨٥).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨/ ١٧١).

(٣) المرجع السَّابق، (٨/ ١٧٦).

بشير ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «الدُّعاء هو العبادة»، وقرأ الآية[1]، وقد ابتلىٰ الله ﷻ عددًا من أنبيائه ورسله؛ حتىٰ يستخرج منهم الدُّعاء، والتضرُّع والالتجاء إليه وحده في قضاء الحوائج، فهذا نبي الله نوح عليه السلام، نجده يتضرَّع إلىٰ ربه؛ طالبًا منه العون، والغلبة علىٰ قومه، بعد أن دعاهم زمنًا طويلًا إلىٰ التَّوحيد الخالص، مع صبره علىٰ إيذائهم وبطشهم، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر: ١٠]، وقال عن مناجاة نبيِّ الله أيوب عليه السلام الذي اشتدَّ بلاؤه مدَّة طويلة؛ فتوسَّل إلىٰ الله بالشَّكوىٰ عن حاله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقد بيَّن الله تعالىٰ ما كان يردِّده يونس عليه السلام، لَمَّا ابتُلِي بالتقام الحوت له، فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وهذا نبي الله موسىٰ عليه السلام، نجده في وقت المحنة يلجأ إلىٰ ربِّه؛ طالبًا منه النُّصرة من جبروت فرعون، وشيعته، فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾ [الدُّخان: ٢٢]، وقد حكىٰ سبحانه عن أصحاب الكهف حين التجؤوا إلىٰ الكهف؛ فرارًا بدينهم، سائلين الله تعالىٰ أن يتغمَّدهم برحمته؛ ليؤمِّنهم من الأعداء: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ١٠]. هذا ووجه الدِّلالة في الآيات؛ أنَّ الله يبتلي عباده بصنوف الابتلاءات والمصائب؛ ليظهر منهم التوجُّه إلىٰ الله وحده بالدُّعاء في قضاء حوائجهم، وكفايتهم شرور الأعداء، وشدَّة بطشهم. ولهذا فقد بيَّن الله تعالىٰ أنَّ الغاية من أخذ العباد بالبأساء والضرَّاء؛ حتىٰ يرجوه ويتضرعوا إليه بالدُّعاء فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة، برقم (٢٩٦٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٩٦٩). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٣٨٢٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢]، قال ابن جرير ﵀: «فعلنا ذلك بهم ليتضرَّعوا إليَّ، ويخلصوا لي العبادة، ويُفْردوا رغبتهم إليَّ دون غيري، بالتذلُّل منهم لي بالطَّاعة، والاستكانة منهم إليَّ بالإنابة»(١)، كما بيَّن سبحانه، أنَّ بعض الناس يتضرعون إليه بالدُّعاء؛ ليكشف عنهم البلاء، ثم إذا رفع عنهم البلاء عادوا إلىٰ ما كانوا عليه من المعاصي، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس:٢٢ - ٢٣]، ونظيره: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٤]، ونظيره: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

ويفهم من مجموع هذه الآيات أنَّ الغايات والحِكَم من أخذ الناس بالفقر والضِّيق في العيش، وبالأمراض والأسقام والآلام في البدن؛ لأجل استخراج الصَّبر لله وحده علىٰ المضارِّ، وإظهار غاية التوجُّه والافتقار إلىٰ الله ﵎ في تدبير الأمور، وقضاء الحوائج، وكشف الكربات، والاعتراف بقدرته وقهره وسلطانه، وأنَّه لا مدبِّر لأمر الله إلا هو سبحانه، وأنَّه لا أحد يستطيع أن يدفع هذا الشَّرَّ إلا الله؛ إذ لا مُعطِي لما منع، وأنَّ الغايات والحِكَم من التفضُّل علىٰ النَّاس بالغِنىٰ، وسَعة العيش، وبالصِّحَّة، والعافية، والقوَّة في البدن؛ لأجل استخراج الشُّكر لله وحده علىٰ المسارِّ، وإظهار توحيد الله بحمده والثَّناء عليه في تدبير الأمور، وتفريج الهموم والغموم، والاعتراف بنعمته ومنَّته وفضله، وأنَّه لا يستطيع أحد أن يردَّ هذا الخير إلا الله؛ إذ لا مانع لِمَا أعطىٰ، يقول ابن تيمية ﵀: «فمن تمام نعمة الله علىٰ عباده

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٣٥٥).

المؤمنين، أن ينزل بهم الشدَّة، والضُّرَّ، وما يُلجئهم إلىٰ توحيده؛ فيدعونه مخلصين له الدِّين، ويرجونه، ولا يرجون أحدًا سواه، وتتعلَّق قلوبهم به، لا بغيره؛ فيحصل لهم من التوكُّل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشِّرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف»(١).

ومن المواقف العملية المأثورة عن النَّبيِّ ﷺ لدفع البلاء فيما صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال: «أما لو قلت، حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات مِن شَرِّ ما خلق، لم تضرَّك»(٢)، وفي رواية أخرىٰ عن خَولة بنت حكيم السُّلَمِيَّة، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إذا نزل أحدكم منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق، فإنَّه لا يضرُّه شيء حتىٰ يرتحل منه**»(٣). ورُوي عن أبان بن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كلِّ يوم ومساء كلَّ ليلة: بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّميع العليم ثلاث مرات، فيضرُّه شيء» وكان أَبَان، قد أصابه طَرَفُ فالج، فجعل الرجل ينظر إليه، فقال له أبان: «ما تنظر؟ أما إنَّ الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ؛ ليُمضيَ الله علَيَّ قَدَره»»(٤)، ومن

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٥/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٩).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢٧٠٨).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسىٰ، برقم (٣٣٨٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٣٨٨). كما أخرجه ابن ماجه في سُننه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا =

الأذكار التي تقي من السُّوء وتدفع الضَّرر بإذن الله، ما رواه عبد الله بن خُبَيْبٍ عن أبيه، قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلِّي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قل»، فلم أقل شيئًا، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئًا، قال: «قل»، فقلت: ما أقول؟ قال: «قل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتَيْن حين تمسي وتصبح ثلاث مرَّات، تكفيك من كلِّ شيء»(١). وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»(٢).

فالحاصل أنَّ الأدعية، والأذكار السَّابقة، تحفظ المسلم من الضُّرِّ، والأذىٰ، بجميع أنواعه، بإذن الله تعالىٰ، ولكن ليس علىٰ وجه اللُّزوم، فمَن أصابه من البلاء مع محافظته علىٰ هذه الأذكار؛ فذلك بقَدَر الله تعالىٰ، وله سبحانه الحِكمة البالغة في أمره وقَدَرِه.

◆ ◆ ◆

= أمسىٰ، برقم (٣٨٦٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

(١) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسمِّ بابه، برقم (٣٥٧٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٧٥)، كما أخرجه عبد بن حميد في منتخبه: عبدالله بن خبيب، برقم (٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم (٢٧٣٠).

المطلب الرَّابع:

البلاء بمقصد استخراج الصَّبر

ورد لفظ «الصَّبر» في مائة وثلاثة مواضع من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة(١).

«الصَّبر» في اللُّغة: مصدر الفعل الثلاثي: صَبَرَ، يصبِرُ، صبرًا، فهو صابر، والمفعول مصبور، وأصل الصَّبر مركَّب من: «(صَبَرَ) الصاد والباء والراء أصول ثلاثة، الأول الحبس، والثاني أعالي الشيء، والثالث جنس من الحجارة، فالأول: الصَّبر، وهو الحبس، يقال: صبرت نفسي علىٰ ذلك الأمر، أي: حبستها، والمصبورة المحبوسة علىٰ الموت، ومن الباب: الصبير، هو الكفيل، وإنما سُمي بذلك؛ لأنه يصبر علىٰ الغُرم، يقال: صبرت نفسي به أَصْبُرُ صَبْرًا، إذا كفلت به، فأنا به صبير، وصبرت الإنسان، إذا حلَّفته بالله جهد القسم»(٢)، وجاء في اللِّسان: «صَبَرَه عن الشيء يَصْبِرُه صبرًا، حبسه؛ والصَّبر: نقيض الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرًا، فهو صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، وصبرته أنا: حَبَسْتُه، والتصبُّر: تكلُّف الصَّبر؛ وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]؛ معناه: وتواصوا بالصَّبر علىٰ طاعة الله، والصَّبر علىٰ الدُّخول في معاصيه، وقوله ﷻ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ أي: اصبروا واثبتوا علىٰ دينكم، وصابروا أي: صابروا أعداءكم في الجهاد، وقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]؛ أي: بالثبات علىٰ ما أنتم عليه من الإيمان، وشهر الصَّبر: هو شهر رمضان، وأصل

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٣٩٩-٤٠١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٣٢٩).

الصَّبر الحبس، وسمي الصوم صبرًا لِمَا فيه من حبس النَّفس عن الطَّعام والشَّراب والنِّكاح»(١)، وفي أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ: الصَّبور، وهو: «الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنىٰ الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصَّبور، كما يأمنها في صفة الحليم»(٢)، والصَّبر في اصطلاح المفسِّرين هو: «الإمساك في ضيق، وحبس النَّفس علىٰ ما يقتضيه العقل والشَّرع»(٣)، وعبَّر عنه آخر بأنَّه: «ثبات النَّفس، وتحمُّلها المشاقَّ والآلام ونحوها»(٤). والحاصل أنَّ الصَّبر هو: تحمُّل المبتلَىٰ التكاليف التشريعية الشَّاقة من الأوامر والنواهي والضِّيق، أو الصَّبر علىٰ الدُّنيا.

لقد أخبر الله ﷻ عمَّا مَنَّ به علىٰ بني إسرائيل؛ إذ جعل منهم رؤساء في الخير، وقدوات يُقتدىٰ بهم؛ لأجل صبرهم علىٰ فعل المأمورات؛ وترك المنهيات، وإيقانهم بآيات الله، وتصديقهم بها، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدة: ٢٤]؛ وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ فمعناه: «صبرُهم علىٰ مشاقِّ الطَّاعات، ومُقاساة الشَّدائدِ في نُصرةِ الدِّينِ، أو صبرُهم عن الدُّنيا»(٥)، وفي الآية: «تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله ﷺ؛ بأنهم يكونون أئمَّة لدين الإسلام، وهداة للمسلمين، إذا صبروا علىٰ ما لحقهم في ذات الله من أذىٰ قومهم، وصبروا علىٰ مشاقِّ التَّكليف، ومعاداة أهلهم، وقومهم، وظلمهم إيَّاهم»(٦)،

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٢) المرجع السَّابق، (٤/ ٤٣٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٤٧٤).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٢٩٩).

(٥) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٧/ ٨٧).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٢٣٧).

وقد دعا القرآن الكريم إلىٰ الثبات والصَّبر لوجه الله تعالىٰ فقال: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر:٧] بمعنىٰ: «اجعل صبرك علىٰ أذاهم لوجه ربِّك ﷻ»(١)، والآية: «تثبيت للنَّبي ﷺ علىٰ تحمُّل ما يلقاه من أذىٰ المشركين، وعلىٰ مشاقِّ الدَّعوة»(٢)، وقد أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالصَّبر علىٰ طاعة الله، ورسوله، فيما أمرا به من جهاد الأعداء، ثم نهاهم عن التَّنازع والاختلاف؛ لأنَّه يبعث علىٰ الفشل والجبن أمام الأعداء فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وفي الآية إيماء إلىٰ: «إعانة الله لمن صبر؛ امتثالًا لأمره، وهذا مُشاهَد في تصرَّفات الحياة كلِّها»(٣)، وقد أمر الله تعالىٰ بالمواظبة علىٰ العبادة، وشدَّة الصَّبر عليها فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [مريم: ٦٥]، والاصطبار هو: «شدَّة الصَّبر علىٰ الأمر الشَّاقِّ»(٤)، وقوله: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ أي: «اثبت للعبادة، لأنَّ العبادة مراتب كثيرة، من مجاهدة النَّفس، وقد يغلب بعضها بعض النُّفوس؛ فتستطيع الصَّبر علىٰ بعض العبادات دون بعض»(٥)؛ لقد أقسم تعالىٰ بأنَّه مبتلٍ عباده المسلمين في أموالهم، وأنفسهم، وسماع ما يكرهون من أهل الكتاب فيقول: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فحثَّهم سبحانه في الآية علىٰ ملازمة الصَّبر، والتقوىٰ عند مواجهة تحدِّيات البلاء، وأنَّ ذلك: ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أي: «مما أمر

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٨/ ٢٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٢٩٩).

(٣) المرجع السَّابق (١٠/ ٣٢).

(٤) المرجع السَّابق (١٦/ ١٤٢).

(٥) المرجع السَّابق (١٦/ ١٤٢).

[الله] به وبالغ فيه، والعزم في الأصل ثبات الرَّأي علىٰ الشَّيء نحو إمضائه»[1]، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ من مقاصد البلاء؛ استخراج الصَّبر، وأنه لا يمكن للعباد أن يستمرُّوا علىٰ أداء الطَّاعات إذا لم يستعينوا بالصَّبر؛ لأنَّ الصَّبر حبس النَّفس عن الشَّكوىٰ، وثباتها، وتحمُّلها مشاقَّ الطاعات والدَّعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيله، كما أقسم أيضًا بأنه سيبتلي عباده المسلمين بالأمر بالجهاد، ونحوه من التَّكاليف التَّشريعية الشَّاقَّة من الأوامر والنَّواهي؛ حتىٰ يستخرج منهم الصَّبر، ويظهر حالهم للنَّاس؛ فيتميَّز قوي الإيمان من ضعيفه، والصَّادق من المنافق، والمجاهد من المتخلِّف فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وحرف الغاية: ﴿حَتَّىٰ﴾ متعلِّق بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، والمعنىٰ: «أنَّ الله تعالىٰ يبلو النَّاس؛ أي: يختبرهم بالتَّكاليف، كبذل الأنفس، والأموال في الجهاد؛ ليتميَّز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم»[2]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢]، وحسبك بفضيلة الصَّبر أن الله جعله سببًا للنَّجاح، والظَّفر علىٰ ما يبلو الله به عباده من أنواع الابتلاءات والمصائب، فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ فإنَّه يعني: «وتواصَوْا بالصَّبر عن المعاصي، وعلىٰ الطَّاعات، وعلىٰ ما يبلو الله به عباده»[3]؛ ويستشفُّ من هذه الآيات وما جاء موضَّحًا في آيات أُخَرَ؛ أنَّ الصَّبر شرط أساسي لتحقيق النَّصر علىٰ أنواع الابتلاءات والمصائب، ويؤيِّد هذا المعنىٰ ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «... **واعلم أنَّ النَّصر مع**

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٢/ ٥٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٣٨٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٤/ ٧٩٤).

الصَّبر...»(١). ويلاحظ في الحديث أنَّ النبي ﷺ قرن بين النصر والصَّبر؛ للدِّلالة علىٰ أنَّه لا نصر علىٰ أنواع البلايا والمصائب إلا بالصَّبر؛ لأنه سبب في النَّجاح والانتصار، والحديث قاعدة ثابتة مطَّردة المعنىٰ، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل؛ حيث يدركها العقلاء بعقولهم، والمجرِّبون بتجاربهم. ولقد قيل: «الشَّجاعة صبر ساعة»(٢)، وقال زفر بن الحارث الكلابي، يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم:

«سقيناهم كأسًا سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا علىٰ الموت أصبرا»(٣)

ويقول تعالىٰ -مخبرًا عن طاعة أصحاب طالوت الصَّادقين؛ لقتال جالوت وأصحابه الكافرين، مُعتبرين أنَّ النَّصر ليس من كثرة عَدد، ولا من عُدد، وإنَّما بالصَّبر علىٰ لَأْواء الجهاد في سبيل الله، فقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وكان من دعائهم في تلكم المعركة الحاسمة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقد استفاضت السُّنَّة النبوية بالأحاديث التي تحثُّ علىٰ الصَّبر، وتأمر به، فمنها ما رواه صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابته سرَّاء شَكَر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء، صَبَر، فكان خيرًا له**»(٤)، وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ،

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهما، برقم (٦٣٠٤)، كما أخرجه الطبراني في معجمه: باب العين، عبيد بن أبي مليكة، عن ابن عباس، برقم (١١٢٤٣)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٣٨٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ٤٧٨).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (٢/ ٢٤٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم (٢٩٩٩).

أتىٰ علىٰ امرأة تبكي علىٰ صبيٍّ لها، فقال لها: «اتقي الله واصبري»، فقالت: وما تُبالي بمصيبتي. فلما ذهب، قيل لها: إنَّه رسول الله ﷺ. فأخذها مثل الموت، فأتت بابه، فلم تجد علىٰ بابه بوَّابين، فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: «إنما الصَّبر عند أوَّل صدمة»، أو قال: «عند أوَّل الصدمة»(١)، ورَوىٰ عبدالله رضي الله عنه، أنه: لَمَّا كان يوم حُنين، آثر النبي ﷺ أُناسًا في القسمة، فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطىٰ عيينة مثل ذلك، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدل فيها، وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله لأُخبرنَّ النبي ﷺ. فأتيته، فأخبرته، فقال: «**فمَن يعدل إذا لم يعدلِ الله ورسوله، رحم الله موسىٰ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**»(٢).

المطلب الخامس:

البلاء بمقصد استخراج الرِّضا

وردت مادة «رَضِيَ» في ثلاثة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة(٣).

و«الرِّضا» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي معتل الآخر: رَضيَ، يَرْضَىٰ، ارْضَ، رِضًا وإرضاء، فهو رَاضٍ، والمفعول مَرْضِيٌّ، ومادة (رضي): «الرَّاء والضاد والحرف المعتلّ أصل واحد يدلُّ علىٰ خلاف السُّخط»(٤)؛ وفي اللِّسان: «الرِّضا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب في الصَّبر علىٰ المصيبة عند أول الصدمة، برقم (٩٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، برقم (٣١٥٠).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٢١-٣٢٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٠٢).

ضدُّ السُّخط، وقوله ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ تأويله أنَّ الله تعالىٰ رضي عنهم أفعالهم، ورضوا عنه ما جازاهم به، وأرضاه: أعطاه ما يرضىٰ به، وترضَّاه: طلب رضاه، وارتضاه: رآه له أهلًا، وترضَّيته؛ أي: أرضيته بعد جهد، واسترضيته؛ فأرضاني، ورجل رِضًىٰ: قُنْعانٌ مَرضيٌّ»(١)، وفي اصطلاح المفسِّرين: «رضا العبد عن الله: ألَّا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد: أن يراه مؤتمرًا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه»(٢). ويقول آخر: «وأصل الرِّضا أنَّه ضدُّ الغضب، فهو المحبَّة وأثرها من الإكرام والإحسان، فرضا الله مستعمَل في إكرامه وإحسانه مثل محبَّته في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، ورضا الخلق عن الله هو محبَّته وحصول ما أملوه منه بحيث لا يبقىٰ في نفوسهم متطلَّع»(٣).

والحاصل أنَّ الرِّضا هو: التَّسليم الكلِّي؛ لِمَا قَسَمه الله تعالىٰ، وقَدَّره علىٰ عباده، من غير امتعاض من قسمته، ولا اعتراض علىٰ أقداره، والتَّسليم الكلِّي؛ لأحكامه الشَّرعيَّة، من غير شكٍّ في حِكَمها، ولا منازعة في أحكَامها، والانقياد الكلِّي لرسوله ﷺ، من غير تقدُّم علىٰ هَدْيه، ولا افتئات علىٰ سُنَّته.

لقد أخبر الله تعالىٰ عن عباده المؤمنين أنَّهم راضون كلَّ الرِّضا بما ساقت إليهم أقداره، من همٍّ، وغمٍّ، وحَزَن، وغيرها من مصائب الدُّنيا؛ لأنهم يعلمون أنَّه لا يصيبهم شيء من المصائب إلَّا وهو مقدَّر عند الله في كتاب، فقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، والآية تعليم للمسلمين بأن يرضَوْا بما قَدَّر الله لهم وقضاه؛ لأنَّ الرِّضا مزيل للبلاء، ومؤذن بالفرج، بينما السَّخط مطيل للبلاء، ومجلب للغُمَّة، وما تضمنته هذه الآية الكريمة

(١) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٣٢٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٥٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/ ١١٩).

أوضحه الله تعالىٰ في غير هذا الموضع، كقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ يعني: «يهد قلبه لليقين؛ فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(١)، وعن علقمة رحمه الله قال: «هو الرَّجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنَّها من عند الله؛ فيسلم لها ويرضىٰ»(٢)، والآيتان دلَّتا دلالة واضحة علىٰ أنَّ كلَّ ما أصاب النَّاس من مصائب في الأرض، كالقحط والجدب، وفي الأنفس، كالأمراض والأوصاب، إنَّما هو بقضاء الله وقدره، وإذا أيقن المبتَلَىٰ أنَّ البلاء من عند الله؛ فإنَّه سيرضىٰ حتمًا عن كلِّ شيء أصابه في حياته، لأنَّه يعلم أنَّ الغرض من جميع البلاء هو إظهار المبتَلَىٰ تسليمه التَّامَّ، ورضاه الكامل عن كلِّ شيء أصابه في حياته لوجه الله تعالىٰ.

هذا ويُستفاد من الآيَتَيْن أنَّ كلَّ ما يصاب به النَّاس من المصائب في الأرض، والأنفس، والأموال، واقع لا محالة، وأنها مقدَّرة قبل وقوعها، وأنَّ مِن بعض حِكَمها: استخراج الرِّضا، أو السَّخط علىٰ المصائب، وقد روىٰ سعد بن سنان رحمه الله، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط»(٣)، ولهذا فإنَّه ينبغي علىٰ المؤمنين الاستعداد لأقدار الله، حلوها ومرِّها، ومقابلتها بالرِّضا في الاعتقاد والقول والعمل، وإن كان خلافَ هواهم، فإنها مثبَتة في كتاب الله، ولهذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٣/ ٤٢١).

(٢) المرجع السابق (٢٣/ ٤٢١).

(٣) أخرجه الترمذي في سُننه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب الصَّبر علىٰ البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، برقم (٢٣٩٦).

قال النبي ﷺ: «**إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّرَ الله وما شاء فعل، فإنَّ «لو» تفتح عمل الشيطان**»(١)، وقد قال تعالىٰ ذكره: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩] يقول ابن عاشور رحمه الله: «إنَّ حكمة التَّكليف تعتمد المصالحَ ودرءَ المفاسد، ولا تعتمد ملاءمة الطَّبع ومنافرته؛ إذ يكره الطَّبع شيئًا وفيه نفعه، وقد يحبُّ شيئًا وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات... وشأن جمهور النَّاس الغفلة عن العاقبة والغاية، أو جهلهما، فكانت الشَّرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرِّض النَّاس علىٰ الأفعال، والتُّروك، باعتبار الغايات، والعواقب»(٢)؛ ذلك وقد بشَّر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بالفوز العظيم؛ إذا استسلموا لجميع أقدار الله، وأحكامه الشَّرعية، من الأوامر والنواهي، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ فمعناه: «رضي الله عن هؤلاء الصَّادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه، من العمل بطاعته، واجتناب معاصيه»(٣)، وقوله: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ فمعناه: «ورضوا هم عن الله تعالىٰ ذكره في وفائه لهم بما وعدهم علىٰ طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه»(٤). وقد عاب الله تعالىٰ علىٰ المنافقين ضجرهم من تقسيم رسول الله ﷺ مصارف الزَّكاة وتوزيعها علىٰ مستحقِّيها بالعدل، فقال: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم (٢٦٦٤).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢/ ٣٢١-٣٢٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) المرجع السابق (١١/ ٢٤٥).

فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨] هذا وقد أرشد الله تعالىٰ المنافقين إلىٰ ما كان ينبغي أن يكونوا عليه فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة: ٥٩] وفي الآية: «إخبار بأنَّ الرِّضا بفعل الله؛ يوجب المزيد من الخير جزاء للرَّاضي علىٰ فعله»[(١)]، وأنَّ السَّخط بفعل الله؛ يوجب المزيد من الشرور والمصائب جزاء للسَّاخط علىٰ فعله. ويؤيِّد هذا ما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وارْضَ بما قَسَم الله لك تكن أغنىٰ الناس»[(٢)]. ومن مواقف رسول الله ﷺ في الرِّضا ما صح عن أنس بن مالك ﷺ، قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ علىٰ أبي سيف القَيْنِ، وكان ظِئْرًا[(٣)] لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبَّله، وشمَّه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرِفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف، إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرىٰ، فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يَرضَىٰ ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(٤)]، ومن أعظم

(١) أحكام القرآن، للرازي (٤/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٠٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٠٥). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، أبي هريرة ﷺ، برقم (٨٠٩٦).

(٣) أي مرضعا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة، وأصل الظئر من ظأرت الناقة إذا عطفت علىٰ غير ولدها، فقيل ذلك للتي ترضع غير ولدها، وأطلق ذلك علىٰ زوجها لأنه يشاركها في تربيته غالبًا. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٣/ ١٧٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، برقم (١٣٠٣).

المواقف التي خلَّدها القرآن الكريم: حادثة الإفك، في شأن عائشة أم المؤمنين ﵂، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين؛ فصبرت علىٰ غمِّها؛ طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ، وكذلك صبر رسول الله ﷺ والمؤمنون ﵃ علىٰ ما صبرت عليه؛ حتىٰ أنزل الله براءتها في عشر آيات تُتلىٰ علىٰ مسامع الناس إلىٰ يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾؛ أي: «لرجحان النَّفع والخير علىٰ جانب الشَّرِّ»(١)، ومعنىٰ كونه خيرًا لهم: «أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنه كان بلاء مبينًا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية، كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله ﷺ، وتسلية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به، فلم تمجه أذناه، وعِدَّة ألطاف للسامعين والتالين إلىٰ يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفىٰ علىٰ متأمليها»(٢)، هذا وإنَّ صبر أمِّ المؤمنين عائشة ﵂ وثباتها في هذه المحنة العظيمة -طلبًا لمرضاة الله تعالىٰ- لَدلالة واضحة علىٰ فضلها، وقد عبَّرت بنفسها عن هذا حين قالت: «والله ما كنت أظنُّ أنَّ الله منزل في شأني وَحيًا يُتلىٰ، وَلَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلَّم الله فيَّ بأمر يُتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله ﷺ في النَّوم رؤيا يُبرِّئني الله بها»(٣). وقد كان من دعائه ﷺ كما نقل عنه سماعًا عمَّار بن ياسر ﵁: «وأسألك الرِّضا بعد

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٢/ ١٩٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٣/ ٢١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] إلىٰ قوله: ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، برقم ٤٧٥٠، ج٦، ص ١٠١. وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠).

القضاء»[١]، وكان مِن ذكره ﷺ حين يسمع تشهد المؤذن كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًّا وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، غُفر له ذنبه»[٢].

◆ ◆ ◆

المطلب السَّادس:
البلاء بمقصد استخراج الشُّكر

جاء لفظ «الشُّكر» في خمسة وسبعين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بعدَّة صيغ، واشتقاقات[٣].

الشُّكر في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي: شَكَرَ، يشكر، اشْكُرْ، شكرًا، فهو شاكر، والمفعول مشكور، وأصل كلمة الشُّكر مركَّبة من: «الشين والكاف والراء، أصول أربعة متباينة، بعيدة القياس. فالأول: الشُّكر: الثَّناء علىٰ الإنسان بمعروف يُولِيكَهُ»[٤]، وفي اللِّسان: «الشُّكر: عرفان الإحسان ونشره، والشُّكر من الله: المجازاة والثَّناء الجميل، وشكره لعباده: مغفرته لهم. والشَّكور: من أبنية المبالغة.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٩٧١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، برقم (٣٨٦).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٨٥-٣٨٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣/ ٢٠٧).

وأما الشَّكور من عباد الله فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأدائه ما وَظَّفَ عليه من عبادته. وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، والشُّكر: مثل الحمد، إلا أنَّ الحمد أعمُّ منه، فإنَّك تحمد الإنسان علىٰ صفاته الجميلة وعلىٰ معروفه، ولا تشكره إلا علىٰ معروفه دون صفاته. والشُّكر: مقابلة النِّعمة بالقول والفعل والنيَّة، فيثني علىٰ المنعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه مُولِيها»[(١)]، إذن فالشُّكر لغة يدور حول الثَّناء؛ لذا يقول ابن منظور: «والشُّكر: الثَّناء علىٰ المحسن بما أَوْلاكَهُ من المعروف»[(٢)]، ومن أسماء الله الحسنىٰ الشَّكور، ومعناه: «هو الذي يُجازي بيسير الطَّاعات؛ كثير الدَّرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود»[(٣)]، وفي اصطلاح المفسِّرين: الشُّكر لله هو الاستخذاء لله، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه[(٤)]، والشُّكر للرَّجل هو الثَّناء عليه بأفعاله المحمودة[(٥)]، ويقول آخر: «الشُّكر تصوُّر النِّعمة وإظهارها، وهو ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصور النِّعمة، وشكر اللِّسان، وهو الثَّناء علىٰ المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النِّعمة بقدر استحقاقه»[(٦)]، ويقول غيره: «الشُّكر الاعتراف بحق المنعم، مع الثَّناء عليه»[(٧)]، ويرىٰ آخر أنَّ: «شكر العبد لله تعالىٰ ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحقِّ سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلَّا

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٢) المرجع السَّابق (٤/ ٤٢٤).

(٣) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، للغزالي (١/ ١٠٥).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٣٥).

(٥) المرجع السابق (٤/ ٢١٣).

(٦) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٤٦١).

(٧) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ١٢٣).

أنَّ شكر العبد نطق باللِّسان، وإقرار بالقلب بإنعام الربِّ، مع الطَّاعات»[(١)]، وعرَّفه غيره بقوله: «شكر العبد لربِّه ينحصر معناه في استعماله جميع نعمه فيما يرضيه تعالىٰ، وأما شكر الرَّبِّ لعبده فهو أن يثيبه الثَّواب الجزيل من عمله القليل»[(٢)]. والحاصل أن الشكر يأتي بمعنيين، الأوّل: شكر العبد لربه؛ باعترافه بحق المنعم، والثناء عليه، والعمل بطاعته، والآخر: شكر الرّب لعبده؛ بإثابته؛ إذا اعترف العبد بالنعم، وأثنىٰ علىٰ باريها، وعمل بطاعته.

لقد أخبر تعالىٰ ذكره أنه في غنًى عن تعذيب عباده إنْ هم تابوا إليه وأطاعوه في أمره ونهيه، وأنه إنما يعذبهم بذنوبهم ومخالفتهم أمره ونهيه فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧]، يقول الزَّمخشري ﷺ: «فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب»[(٣)]، قال قتادة ﷺ: «إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا»[(٤)]، هذا وفي الآية دلالة واضحة علىٰ أن الشُّكر لله طريق إلىٰ معرفة الله والإيمان به، وهو أمان -أي: الشُّكر لله- من نزول البلايا والمصائب، ولهذا أخبر تعالىٰ عن قوم لوط كيف أخذهم بالعذاب الشَّديد؛ بسبب مخالفتهم أمر الله، غير أهل لوط الذين شكروا الله فصدَّقوا لوطًا واتبعوه علىٰ دينه، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤- ٣٥]، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ فمعناه: «كذلك نثيب من شكرنا علىٰ نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهىٰ إلىٰ أمرنا

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢/ ١٧٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٧/ ٥٣٤).

(٣) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٥٨٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٩/ ٣٤٣).

ونهينا من جميع خلقنا»[1]. وقد امتنَّ الله تعالىٰ علىٰ بني اسرائيل بنعمة الإنجاء من آل فرعون بعدما كانوا فيه من العذاب، وذلك لأجل استخراج شكرهم علىٰ المسارِّ فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم:٦]، وقد بين تعالىٰ أن الشُّكر يُربي النعم، والكفر يزيلها، إلا ما كان منها علىٰ وجه الاستدراج، فقال في شكر النعمة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، وضرب مثلًا بأهل القرىٰ الذين كفروا بأنعم الله التي أنعم بها عليهم، فقال في قرية مكَّة التي سكنها أهل الشِّرك بالله، والتي كانت آمنة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢]، وأخبر الله تعالىٰ عن قوم سبأ الذين أعرضوا عن شكر المنعم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧]، ووجه الدِّلالة من الآيات: «النَّحل» و«سبأ»؛ أنَّ الله ﷻ يبتلي عباده بالنِّعم والخيرات؛ لأجل استخراج شكرهم علىٰ المسارِّ، وأنَّهم إن لم يقابلوا بلاء الله الحسن بالشُّكر والطَّاعة؛ فإنَّ مآلهم مآل تلك القرىٰ التي هانت علىٰ الله غاية الهوان، وحلَّ عليها سَخَط الله، وغضبه، بعد جحود أهلها لكلِّ نعم الله وعدم شكره، وقد أمر الله تعالىٰ آل داود عليه السلام بعد امتنانه عليهم بأصناف من النِّعم، وألوان من المنن؛ بأن يشكروه حقَّ الشُّكر علىٰ نِعَمه التي سخرها لهم ما لم يسخر مثلها لغيرهم، فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]،

(١) المرجع السَّابق (٢٢/ ٥٩٦).

والمعنىٰ: «اشكروا ربكم بطاعتكم إياه يا آل داود؛ علىٰ ما أنعم عليكم من النِّعم [في الدِّين والدُّنيا]»[1]، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ شكر النعم بالحال والمقال؛ مؤذن بحفظ النِّعم، ورفع النِّقم، وقد كان آل داود قائمين بشكر الله قولًا وعملًا، ففي الصَّحيحين أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخبره: أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «أحبُّ الصَّلاة إلىٰ الله صلاة داود عليه السلام، وأحبُّ الصِّيام إلىٰ الله صيام داود، وكان ينام نصف اللَّيل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يومًا، ويفطر يومًا»[2].

وقد ابتهل سليمان عليه السلام إلىٰ ربِّه؛ ليوفِّقه علىٰ شكر نعمه التي أنعمها عليه وعلىٰ والديه؛ لِمَا في الشُّكر من الثواب، ومن ازدياد النعم، ومن اندثار النِّقم فقال: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، كما استشعر سليمان عليه السلام فضل الله عليه بالنُّبوَّة، والملك، والعلم، وتسخير الجنِّ، والإنس، والطَّير له، وأنَّ ذلك بلاء من ربِّه عظيم؛ ليرىٰ منه أيشكر علىٰ نعمائه، أم أيكفر، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل:٤٠]. يقول النَّسفي رحمه الله في تعليقه علىٰ قول سليمان عليه السلام ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾: «فالشُّكر قيد للنِّعمة الموجودة، وصيد للنِّعمة المفقودة»[3]. ويخبر تعالىٰ ذكره بأنه اختبر عباده بأن فاوت بينهم في الأرزاق، والقوَّة، والجاه، والأخلاق، وغير ذلك؛ ليستخرج منهم الشُّكر علىٰ المسارِّ والصَّبر علىٰ المضارِّ، فقال: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب: من نام عند السحر، برقم (١١٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصِّيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوَّت به حقًّا أو لم يفطر العيدَيْن والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، برقم (١١٥٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٢/ ٦٠٧).

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقوله: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ أي: «ليختبر الغنيَّ في غناه، ويسأله عن شكره، والفقير في فقره، ويسأله عن صبره»(١)، وقد اختبر الله عباده المؤمنين بنعمة النَّصر والغنيمة يوم بدر؛ لإظهار الشُّكر منهم؛ فيزدادوا شكرًا فقال: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ [الأنفال: ١٧] ويعني بالبلاء الحسن: «النِّعمة الحسنة الجميلة»(٢).

ومن التطبيقات النَّبويَّة للشُّكر علىٰ النِّعمة الحسنة الجميلة ما صح عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ نبي الله ﷺ كان يقوم من اللَّيل حتىٰ تتفطَّر قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: لِـمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا»، فلما كثر لحمه صلَّىٰ جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع(٣)، ومن دعائه المأثور ﷺ في التعامل مع السَّرَّاء تارةً، والضَّرَّاء تارة أخرىٰ، ما روته أمُّنا عائشة رضي الله عنها أنَّ: النَّبيَّ ﷺ كان إذا أتاه الأمر يسرُّه قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا أتاه الأمر يكرهه، قال: «الحمد لله علىٰ كل حال»(٤).

◆ ◆ ◆

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٣٨٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، برقم ٤٨٣٧، ج٦، ص ١٣٥.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٨٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٣٨٠٣).

المطلب السَّابع:
البلاء بمقصد استخراج التَّوبة

جاء لفظ «التَّوبة» في سبعة وثمانين موضعًا من آيات الذِّكر الحكيم، بعدَّة صيغ، واشتقاقات(١).

التَّوبة في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي: تابَ، يتوب، تُبْ، توبةً، فهو تائب، والمفعول مَتُوب، وأصل كلمة التَّوبة مركَّبة من: «التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ علىٰ الرُّجوع، يقال: تاب من ذنبه؛ أي رجع عنه، يتوب إلىٰ الله توبةً ومَتابًا، فهو تائب، والتَّوْب: التَّوبة، وهو العودة إلىٰ الله»(٢)، وفي اللِّسان: «أصل تاب: عاد إلىٰ الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه، أي: عاد عليه بالمغفرة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النُّور:٣١]، والتَّوبة: الرُّجوع من الذَّنب، وتاب الله عليه: وفَّقه لها، ورجل توَّاب: تائب إلىٰ الله، والله توَّاب: يتوب علىٰ عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، واستتبت فلانًا: عرضت عليه التَّوبة مما اقترف؛ أي الرُّجوع والنَّدم علىٰ ما فَرَطَ منه، واستتابه: سأله أن يتوب»(٣)، وفي الحديث عن ابن مَعْقِل، وأبيه، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّدم توبة**»(٤)، ومن

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (ص ٤٥٥-٤٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١/ ٣٥٧).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، برقم (٤٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجه برقم (٤٢٥٢). كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه، برقم الحديث: (٤١٢٣)، وقال عنه محققو المسند: «صحيح، وهذا إسناد حسن».

أسماء الله الحسنىٰ التوَّاب، ومعناه: «هو الذي يرجع إلىٰ تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرىٰ، بما يُظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويُطلعهم عليه من تخويفاته، وتحذيراته؛ حتىٰ إذا اطَّلعوا بتعريفه علىٰ غوائل الذُّنوب، استشعروا الخوف بتخويفه؛ فرجعوا إلىٰ التَّوبة؛ فرجع إليهم فضل الله تعالىٰ بالقبول»(١)، بينما التَّوبة في اصطلاح المفسِّرين هي: «ترك الذَّنب لقُبحه، والنَّدم علىٰ ما فرط منه، والعزيمة علىٰ ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة»(٢)، ويقول آخر: هي: «أن يكون العبد نادمًا علىٰ ما مضىٰ مجمعًا علىٰ ألا يعود إليه»(٣)، ويقول غيره: «العزم علىٰ عدم العود إلىٰ العصيان مع النَّدم علىٰ ما فرط منه فيما مضىٰ»(٤)، وقد أورد محمد بن كعب القرظي ﵀ أنَّ التوبة تنعقد بتوافر أربعة أمور، وهي: «الاستغفار باللِّسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العَوْد بالجنان، ومهاجرة سَيِّئِ الإخوان»(٥). والحاصل أنّ التوبة هي: الرجوع إلىٰ طاعة الله تعالىٰ قلبًا، ولسانًا، وحالًا، وترك معاصيه؛ عاجلًا غير آجل.

لقد أخبر الله تعالىٰ أنَّه علَّم آدم ﵇ كلمات التوبة؛ فتلقَّفها بالقبول، والعمل، والتَّسليم، فقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧]، وهذه الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربِّه ﷻ مفسَّرة بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ووجه الدِّلالة من الآية أنَّ المقصد من ابتلاء آدم وزوجه ﵉ بالأكل من الشجرة؛ هو استخراج التوبة منهما،

(١) المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ، للغزالي (١/ ١٣٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ١٦٩).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤/ ٣١٦).

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٨/ ٣٦٧).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٩/ ٣٥٠).

وبيان أنَّ عداوة إبليس للناس جميعًا ممتدة جذورها في عمق التاريخ، من آدم ﵇، وقد قام آدم وزوجه بواجب التوبة تجاه ربهما؛ فأنعم الله عليهما بالرَّحمة والمغفرة، بينما أعرض إبليس عن التوبة إلىٰ الله؛ فسخط الله عليه، ولعنه، وطرده من رحمته.

هذا وقد بيَّن المولىٰ ﷻ في كتابه أنَّ من مقاصد البلاء استخراج التوبة من عباده فقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ويعني بالحسنات: «الرخاء في العيش، والخفض في الدُّنيا والدَّعة، والسَّعة في الرزق»[١]، ويعني بالسيِّئات: «الشِّدَّة في العيش، والشَّظف فيه، والمصائب والرَّزايا في الأموال»[٢]، وجملة قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعليل لقوله تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ والمعنىٰ: «ليرجعوا إلىٰ طاعة ربهم وينيبوا إليه، ويتوبوا من معاصيه»[٣]، ونظيره: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، عن ابن عباس ﵄ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ يقول: «مصائب الدُّنيا، وأسقامها، وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد؛ حتىٰ يتوبوا»[٤]، وقد بيَّن الله ﷻ أن الغرض من ابتلاء عباده بظهور الفساد في برِّ الأرض وبحرها؛ استخراج التوبة، كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، قال أبو العالية ﵀: «من عَصىٰ الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأنَّ صلاح الأرض والسَّماء بالطَّاعة»[٥]، ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: «كي ينيبوا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٠٨).

(٢) المرجع السَّابق (١٣/ ٢٠٩).

(٣) المرجع السَّابق (١٣/ ٢٠٩).

(٤) المرجع السَّابق (٢٠/ ١٨٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٦/ ٣٢٠).

إلىٰ الحق، ويرجعوا إلىٰ التوبة، ويتركوا معاصي الله»[1]، ومن أروع النَّماذج التي تَروي لنا صورًا رائعة عن التوبة بعد البلاء، ما قَصَّه القرآن الكريم في حقِّ ثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: « كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع [رضوان الله عليهم جميعًا]، وكلُّهم من الأنصار»[2]، الذين تخلَّفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ يقول ابن جرير رحمه الله: «وأيقنوا بقلوبهم أنْ لا شيء لهم يلجؤون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء؛ بتخلفهم خِلافَ رسول الله ﷺ، ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلىٰ طاعته، والرُّجوع إلىٰ ما يُرضيه عنهم، لينيبوا إليه، ويرجعوا إلىٰ طاعته والانتهاء إلىٰ أمره ونهيه»[3]، في حين ذمَّ الله تعالىٰ المنافقين؛ لتخلُّفهم عن التَّوبة من المعاصي بقوله: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ فإنه يعني: «ثم هم مع البلاء الذي يحلُّ بهم من الله، والاختبار الذي يعرض لهم، لا ينيبون من نفاقهم، ولا يتوبون من كفرهم، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته؛ فيتعظوا بها، ولكنهم مصرُّون علىٰ نفاقهم»[4]، هذا، والآيتان دلالة واضحة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يبتلي عباده بأنواع البلايا والمصائب؛ لأجل أن يستخرج منهم التوبة وقت

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٠٩).

(٢) المرجع السابق (١٤/ ٥٤٤).

(٣) المرجع السابق (١٤/ ٥٤٤).

(٤) المرجع السابق (١٤/ ٥٧٩).

البلاء، أو عدمها، فيميز التائب من المصرِّ، والطيِّب من الخبيث.

ومن الأدعية النَّبويَّة الجامعة لمعاني التَّوبة ما صحَّ عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ: «سيِّد الاستغفار أن تقول: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت»، قال: «ومن قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنَّة، ومن قالها من اللَّيل وهو موقن بها، فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنَّة»(١).

◆ ◆ ◆

المطلب الثَّامن:
البلاء بمقصد الرَّحمة

لقد وردت مادة «رحم» في ثلاثمائة وتسعة وثلاثين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم، بصياغات، واشتقاقات مختلفة(٢).

و«الرَّحمة» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المتعدّي: رَحِم، يرحَم، ارْحَمْ، رحمة، فهو رَاحِم، والمفعول مَرحُوم، وأصل مادة (رحم) يدلُّ علىٰ: «الرِّقَّة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رقَّ له وتعطَّف عليه، وَالرُّحْمُ وَالْمَرْحَمَةُ والرَّحمة بمعنًىٰ»(٣)؛ وفي اللِّسان: «الرَّحمة: الرِّقَّة والتعطُّف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحَّمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا، والرَّحمة: المغفرة»(٤)،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدَّعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم (٦٣٠٦).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٣٠٤-٣٠٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (١٢/ ٢٣٠).

ومن أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ: الرَّحمن، والرَّحيم، وهما اسمان مشتقَّان من الرَّحمة علىٰ وجه المبالغة، والرَّحمن أشدُّ مبالغةً من الرَّحيم؛ لأنَّ «ربَّنا جلَّ ثناؤه رحمنُ جميع خلقه في الدُّنيا والآخرة، ورحيمُ المؤمنين خاصَّةً في الدُّنيا والآخرة، فأمَّا الذي عمَّ جميعَهم به في الدُّنيا من رحمته فكان رحمانًا لهم به، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [سورة النحل: ١٨]، في البَسْط في الرزق، وتسخير السَّحاب بالغَيْثِ، وإخراج النَّبات من الأرض، وصحَّة الأجسام والعقول، وسائر النِّعم التي لا تُحصىٰ، التي يشترك فيها المؤمنون والكافرون، وأمَّا في الآخرة، فالذي عمَّ جميعهم به فيها من رحمته، فكان لهم رحمانًا، تسويته بين جميعهم جلَّ ذكرُه في عَدله وقضائه، فلا يظلم أحدًا منهم مِثْقال ذَرَّة، فذلك معنىٰ عمومه في الآخرة جميعَهم برحمته، وأمَّا ما خصَّ به المؤمنين في عاجل الدُّنيا من رحمته، الذي كان به رحيمًا لهم فيها، كما قال جلَّ ذكره: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] بما لطف بهم من توفيقه إيَّاهم لطاعته، والإيمان به وبرسله، واتِّباع أمره واجتناب معاصيه، ممَّا خُذِل عنه من أشرك به، وكفر وخالف ما أمره به، وركب معاصيَه؛ وكان مع ذلك قد جعل جلَّ ثناؤه، ما أعدَّ في آجل الآخرة في جنَّاته من النَّعيم المقيم والفوز المبين، لِمَن آمن به، وصدَّق رسله، وعمل بطاعته، خالصًا، دون من أشرك وكفر به»[(١)]؛ أمَّا الرَّحمة في اصطلاح المفسِّرين فهي: «رقَّة تقتضي الإحسان إلىٰ المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرِّقَّة المجرَّدة، وتارة في الإحسان المجرَّد عن الرِّقَّة، وعلىٰ هذا رُوي أنَّ الرَّحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميِّين رقَّة وتعطُّف»[(٢)]، ويقول آخر: هي: «الرِّفق

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ١٢٨-١٢٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٤٧).

بالمرحوم، والإحسان إليه، ودفع الضرِّ عنه، وإعانته علىٰ المشاقِّ»[(١)]، والحاصل أنَّ الرَّحمة المقصودة في بحثنا تأتي بمعنيَيْن؛ الأول: الإفضال والإمهال، وهي التي يشترك فيها جميع الخلق في عاجل الدُّنيا، والآخر: التطهير والتَّوفيق، وهي التي تخصُّ المؤمنين، دون غيرهم في عاجل الدُّنيا.

لقد أوجب الله تعالىٰ علىٰ نفسه الكريمة تفضُّلًا منه، وتكرُّمًا؛ أن يرحم ويغفر؛ لمن تاب من عباده، وأصلح العمل، وأن يُمهل، ولا يعجِّل العقوبة؛ لِمَن لم يتب من عباده، فقال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ معناه: «قضىٰ أنَّه بعباده رحيم، لا يعجِّل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة، وهذا من الله -تعالىٰ ذِكره- استعطاف للمُعرضين عنه إلىٰ الإقبال إليه بالتوبة»[(٢)]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال «**إنَّ الله تعالىٰ كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش، إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»[(٣)]، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ يقول: «جعل الله الرَّحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزءِ يتراحمُ الخلقُ، حتىٰ ترفعَ الفرسُ حافِرَها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[(٤)]، والآيتان مع الحديثَيْن دلالة واضحة علىٰ أنَّ رحمة الله تسع جميع خلقه في عاجل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٦٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١١/ ٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، برقم (٧٤٢٢)١١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، برقم (٦٠٠٠).

دنياهم، بطريق الإفضال، والإنعام عليهم بالذَّات المقدَّسة، فيرحم أهل الكفر والظُّلم والطُّغيان بإمهالهم، واستعطاف قلوبهم؛ إلىٰ الإقبال إليه بالتَّوبة، والإنابة، مع إفراطهم في الكفر والظُّلم والطُّغيان ومحاربتهم الله ورسوله والمؤمنين، ويرحم أهل المعصية؛ بتوفيقهم للإنابة إليه، ومغفرة ذنوبهم، مع إفراطهم في هتك محارم الله، ويرحم أهل طاعته؛ بتثبيتهم علىٰ العمل الصَّالح، والاستقامة في الدِّين، كما أُمروا، مع تقصيرهم في العبادة.

ثم ذكر -تعالىٰ ذكره- دليلَ رحمته بجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، وهو كونه تعالىٰ لو يعاقب النَّاس علىٰ ما اقترفوه من المعاصي والآثام؛ لعجَّل لهم العذاب في الدُّنيا، غير أنَّه سبحانه أمهلهم لوقت معلوم؛ حتىٰ يتوبوا من سوء أعمالهم فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]، وقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ﴾ فمعناه: «يؤخِّر العذاب عنهم»[(١)] و«يقبل توبتهم إذا تابوا»[(٢)].

لقد أوضح الله تعالىٰ في سورتَي الأعراف، وهود، ومواضع أخرىٰ؛ أنَّه أنجىٰ هودًا، وصالحًا، وشعيبًا، وسائر أنبيائه عليهم السلام، والذين آمنوا معهم، برحمة منه، وتفضُّل، وتكرُّم، من بطش الذين كفروا، فقال في هود عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقال في صالح عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦]، وقال في شعيب عليه السلام، ومن آمن معه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ

(١) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٣٥٢).

(٢) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٧/ ١٨٩).

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤]، ويستفاد من آيات الإنجاء، أنه من تمام رحمة الله بعباده عند اشتداد البلاء، أنه لا يسلِّط أعداءه علىٰ أوليائه؛ لأنَّهم إذا ظفروا؛ طغوا في البلاد؛ فأكثروا فيها الفساد، وأهلكوا الحرث والنسل.

وسنبرز الآن أهمَّ مقاصد الابتلاء بغرض الرَّحمة في النِّقاط الآتية:

١- زيادة الثواب ومضاعفة الأجر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]، ووجه الدِّلالة من الآية؛ أنَّ الله يبتلي عباده بصنوف المصائب، والابتلاءات في الأرض، وفي أنفسهم؛ لأنَّ أعمالنا وطاعاتنا لا تؤهلنا لنيل مغفرة الله ورضوانه، ولأجل هذا قضىٰ الله علينا برحمة منه، وتفضُّل، وتكرُّم، أن نمرض ونعتلَّ، ونصاب بأنواع المصائب، والبلايا؛ حتىٰ نستكمل جانب النَّقص فينا؛ إذ لو لم نُبتَلَ؛ لَمَا تلذَّذ مؤمن قطُّ بنعيم الجنَّة، وقد صح أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لن يُدخِل أحدًا عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنَيَنَّ أحدكم الموت: إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب»(١).

وقد ورد في عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهم اؤجُرْني في مصيبتي، وَأَخْلِفْ لي خيرًا منها، إلا آجره الله من مصيبته، وأخلف له خيرًا منها» قالت: فلما تُوُفي أبو سلمة، قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢)، روي في الصَّحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت علىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: تمني المريض الموت، برقم (٥٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨).

وهو يوعك وعكًا شديدًا، فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إني أُوعك كما يوعك رجلان منكم» فقلت: ذلك أن لك أجرَيْن؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذًى، مرض فما سواه، إلا حط الله له سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»(١). وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ، قال: «إنَّ عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط»(٢).

٢- تكفير السيِّئات، لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفي الصَّحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذًى ولا غم، حتىٰ الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٣).

٣- إرادة الخير بالناس، لِمَا رواه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنه، أنه قال: سمعت سعيد بن يسار أبا الحباب، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من يُرِد الله به خيرًا يُصِب منه**»(٤)، وروىٰ الترمذي في سُننه عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما يقال للمريض، وما يجيب، برقم (٥٦٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب من اتقىٰ المحارم فهو أعبد الناس، برقم (٢٣٩٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم: (٢٣٩٦). كما أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب الصَّبر علىٰ البلاء، يوم النحر، برقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المرضىٰ، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم (٥٦٤٥).

في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتىٰ يوافي به يوم القيامة»[(١)].

٤- نيل أجر الشهيد لِمَن أُصيب بالأوباء والطَّواعين، لِمَا رُوي في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يبعثه الله علىٰ من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد»[(٢)].

٥- رفع الدَّرجات للمبتَلَىٰ كما هو في حق الأنبياء عليهم السلام، وشواهد ذلك متعددة في القرآن الكريم، ومن ذلك نبي الله أيوب عليه السلام الذي ابتلاه الله بالمرض في جسده، فصبر واحتسب؛ حتىٰ فرَّج الله عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص: ٤١- ٤٤]، قال ابن كثير: «هذه تذكرة لِمَن ابتُلِي في جسده أو ماله أو ولده، فله أُسوة بنبي الله أيوب؛ حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب، حتىٰ فَرَّج الله عنه»[(٣)]، وكما هو في حقِّ الجهاد في سبيل الله، الذي فيه أصناف من الأذىٰ والابتلاء، في الأموال بنقصها وهلاكها، وفي الأنفس بالقروح والآلام والقتل، قال تعالىٰ: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه: أبواب الزهد، باب ما جاء في الصَّبر علىٰ البلاء، برقم (٢٣٩٦)، وقد صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦). كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب العلم، برقم (٨٧٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الأنبياء، باب: حديث الغار، برقم (٣٤٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٢٢٤).

أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

٦- تطهير القلوب من الكبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

٧- الرَّدع عن القبائح، والآثام، والظُّلم، والطُّغيان، لذا أخبر الله تعالىٰ بأنه قادر علىٰ أن يذيق الجاحدين بألوهيته ألوان المصائب والابتلاءات، فلا يدفعه عنهم أحد، فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ قال أبو السُّعود ﷺ: «كي يفقَهوا ويقِفوا علىٰ جلية الأمر فيرجعوا عمَّا هُم عليهِ من المكابرة والعِناد»(١)، ووجه الدِّلالة من هذه الآية؛ أنَّ هذا التهديد للمشركين، هو رحمة من رحمات الله تعالىٰ عليهم؛ حتىٰ يصرفهم عمَّا هم فيه من الشرك، وعبادة الأوثان، والأهواء، إلىٰ ما هم مكلَّفون به من أنواع العبادة، كما يُستفاد من الآية الكريمة أنَّ الله تعالىٰ رحم هذه الأمة، وحفظها من الإهلاك العام، وعذاب الاستئصال، كحال الأمم السابقة، ودلَّ علىٰ هذا ما رواه جابر رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ وجهك**»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٣/ ١٤٦).

رسول الله ﷺ: «هذا أهون -أو: هذا أيسر-»(١).

٨- إظهار الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، وإقامة الحُجَّة علىٰ جميع الخلق ليميِّزوا بين الحقِّ والباطل، والكفر والضَّلال، والزيغ والإيمان، يقول تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ونظيره قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، يقول ابن عاشور: «وظهور الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه حصل في العالم باتِّباع أهل الملل إيَّاه في سائر الأقطار، بالرَّغم علىٰ كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إيَّاه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله علىٰ الأديان التي جاورها، وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلَّقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلَّا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره علىٰ الأديان أن تنقرض تلك الأديان»(٢).

ذلك أنَّ إقامة الله حُجَّته علىٰ الكفَّار بإظهار الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، وبإرسال آياته الدَّالَّة عليه، لهو من تمام رحمة الله تعالىٰ المقتضية إمهال عباده، وعدم تعجيل العقوبة علىٰ كفرهم وفسقهم، وتذكيرهم بين الحين والآخر بأحقِّيَّة ملَّة الإسلام علىٰ الدِّين كلِّه، واستعطاف قلوبهم إلىٰ الإقبال إليه بالتَّوبة والإنابة، يقول تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِى لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، ويقول: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويقول:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن، باب: باب قوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابًا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥] الآية، برقم (٤٦٢٨).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ١٧٣-١٧٤).

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إذَنْ فبناء علىٰ ما تقدَّم، يتبيَّن لنا أنَّ الإصابة بالابتلاء من تمام رحمة الله بعباده، وحبِّه لهم، وشفقته عليهم، حتىٰ يوقظهم من غفلتهم، فيقيم عليهم الحُجَّة، فيظهر لهم الحقَّ من الباطل، فيوفِّقهم للتوبة، فيربِّيهم علىٰ طاعته، فيكفِّر عنهم سيِّئاتهم، فيضاعف لهم حسناتهم، فيرفع درجاتهم، فيزيدهم من فضله، فيرضىٰ عنهم.

وقد تعلَّمنا من هَدْي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم عامَّة، وهَدْي النبيِّ ﷺ علىٰ وجه الخصوص؛ كثرة التعوُّذ من كلِّ أنواع البلاء والابتلاء، واللُّجوء إلىٰ الله ﷻ، مع كثرة التضرُّع إليه في حال الإصابة بالبلاء، والصَّبر والاحتساب علىٰ ذلك، مع الإيقان التَّامِّ أنَّه: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، واتخاذ الإصابة بالبلاء، فرصة للتقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بفعل الخيرات، وترك المنكرات، والتكثير من أنواع الطَّاعات، والقربات، مع العناية الكاملة بغسل أدران النَّفس، والقلب، صباحًا ومساءً؛ حتىٰ نظفر عند الله بالسَّعادة الدُّنيويَّة، والأخرويَّة.

المطلب التَّاسع:
البلاء بمقصد التَّمحيص

لقد ورد لفظ «التَّحميص» في موضعَيْن من آي الذِّكر الحكيم بصيغة الفعل المضارع(١).

و«التَّمحيص» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف: محَّص يُمحِّص، تمحيصًا، فهو مُمحِّص، والمفعول مُمحَّص، أصل التَّمحيص في اللُّغة مركَّب من: «(محص) الميم والحاء والصاد أصل واحد صحيح يدلُّ علىٰ تخليص شيئًا وتنقيته. ومَحَصَهُ مَحْصًا: خلَّصه من كل عيب، [و] محَّص الله العبد من الذَّنب: طهَّره منه ونقَّاه، ومحَّصه، ومحَّصت الذَّهب بالنار: خلَّصته من الشَّوب»(٢)، وفي اللِّسان: «ومحَّص الشَّيء يمحِّصه محصًا، ومحَّصه: خلَّصه من كلِّ عيب، والمحص في اللُّغة: التَّخليص والتَّنقية، وتمحيص الذُّنوب: تطهيرها، ومعنىٰ التَّمحيص النَّقص. يقال: محَّص الله عنك ذنوبك؛ أي نقصها، فسمَّىٰ الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصًا؛ لأنَّه ينقص به ذنوبهم، والتَّمحيص: الاختبار والابتلاء»(٣)، أمَّا التمحيص في اصطلاح المفسِّرين فهو: «التَّطهير والتَّصفية»(٤)، ويقول غيره: هو: «إزالة ما قد انفصل من الخير عن الشرِّ، وكان المقصود به ما ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿لِيَمِيزَ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٦٦٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٣٠٠).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٩٠).

(٤) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٤٢٠).

ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]»[١]، ويرىٰ آخر أنَّه: «تخليص الشيء مما يخالطه مما فيه عيب له، فهو كالتَّزكية»[٢]، وعبَّر عنه آخر بأنه: «محو للآثار وإزالة للأوضار»[٣]، إذَنْ مما سبق من تعريفات للتَّحميص لغةً واصطلاحًا؛ يتبيَّن لنا أن التَّمحيص هو عبارة عن اختبار قلوب النَّاس بتنقيتها من المعايب والمثالب؛ حتىٰ يتميَّز المؤمن من غيره في الدُّنيا والآخرة، أو يتطهَّر المؤمن من الذَّنب إن كان له ذنب، وإلا فهو رفع لدرجاته.

يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذا التَّمحيص يكون في دار الدُّنيا بأربعة أشياء: بالتوبة، والاستغفار، وعمل الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، وإن لم تفِ هذه الأربعة بتمحيصه وتخليصه، محص في البرزخ بثلاثة أشياء: بصلاة أهل الإيمان الجنازة عليه، وبفتنة القبر، وبما يهدي إخوانه المسلمون إليه من هدايا الأعمال، وجعل ثواب ذلك له، فإن لم تفِ هذه بالتَّمحيص، مُحِّص بين يدَيْ ربِّه في الموقف بأربعة أشياء: أهوال القيامة، وشدَّة الموقف، وشفاعة الشُّفعاء، وعفو الله عز وجل، فإن لم تفِ هذه الثلاثة بتمحيصه فلا بدَّ له من دخول الكير، رحمة في حقِّه؛ ليتخلَّص ويتمحَّص، ويتطهَّر في النَّار، ويكون مكثه فيها علىٰ حسب كثرة الخبث وقلَّته، فإذا خرج خبثه وصار خالصًا طيِّبًا، أُخرج من النَّار، وأُدخل الجنَّة»[٤].

لقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه أنَّ سُنته جارية في امتحان النَّاس بضروب الفتن والمِحن فقال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، فتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكليف؛ حتىٰ يطهِّر قلوب المؤمنين، ويخلِّصها من

(١) تفسير الراغب الأصفهاني، للراغب (٣/ ٩٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٤/ ١٣٩).

(٣) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (٢/ ٩١).

(٤) مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، لابن قيم (١/ ١٦٣).

العيوب، أو يكرمها بالشَّهادة؛ لتنال الدَّرجات العُلا، يقول الله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معناه: «يكفِّر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب، وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به»(١)، وبهذا المعنىٰ صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نزلت ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: **«قاربوا، وسدِّدوا؛ ففي كلِّ ما يُصاب به المسلم كفَّارة، حتىٰ النَّكبة ينكبها، أو الشَّوكة يشاكها»**(٢)، وفيه أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ، دخل علىٰ أم السَّائب، أو أمِّ الْمُسَيِّبِ فقال: «ما لك يا أم السَّائب -أو: يا أم المسيِّب- تزفزفين؟» قالت: الحمَّىٰ، لا بارك الله فيها، فقال: «لا تسبِّي الحمَّىٰ؛ فإنها تُذهب خطايا بني آدم، كما يُذهب الكير خبث الحديد»(٣)، ونظير هذا قد ذُكر في السُّنة في غير موضع. وتارة يكون الامتحان بشدائد التَّكليف حتىٰ يميَّز الصَّادق في إيمانه من غيره، ويظهر أمره للنَّاس؛ لأجل أخذ الحذر والحيطة، ممن يدَّعي شيئًا ليس فيه، فيقول: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ أي: «وليميز الخبيث من الطيِّب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للنَّاس في الأقوال والأفعال»(٤)، وهذا تمامًا مثل ما حصل يوم أُحد عندما اشتدَّت الحرب بين المسلمين وكفَّار قريش، فكاد الانتصار

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتىٰ الشوكة يشاكها، برقم (٢٥٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتىٰ الشوكة يُشاكها، برقم (٢٥٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٤٦).

وقتئذ يكون حليف المومنين، لولا معصية الرُّماة أمر رسول الله ﷺ، ومخالفتهم طاعته، فقال: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ فمعناه: «ليختبركم، فيتميَّز المنافق منكم من المخلص الصَّادق في إيمانه منكم»(١)، ورُوي أنَّ رأس النِّفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول انفصل وقتئذ بثلث الجيش، أو قريب منه، فعن مَعْمَر عن الزهري عن عروة في قوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قوله: «حتىٰ إذا كان بالشَّوط من الْجَبَّانَةِ انخزل عبدالله بن أبيٍّ، ابن سلول بثلث الجيش، أو قريب من ثلث الجيش»(٢)، ويدخل في معنىٰ التمحيص تطهير قلوب المؤمنين الصَّادقين من الكِبر والخيلاء، كما حدث يوم حنين، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وفي الآية دلالة علىٰ «أنَّ النصر بيده [أي: الله تعالىٰ] ومِن عنده، وأنه ليس بكثرة العدد وشدَّة البطش»(٣).

ومن خلال هذا التَّمحيص تتمايز العناصر المؤمنة الصَّالحة من العناصر السيِّئة، فيَظهر:

١- **الخبيث من الطيب؛** لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ أي: «حتىٰ يفرِّق»(٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٧/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه الصنعاني في مصنفه: كتاب المغازي، باب ما جاء في حفر زمزم، وقد دخل في الحج أول ما ذكر من عبدالمطلب، وقعة أحد، برقم (٩٧٣٥)، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٧١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ١٧٩).

(٤) المرجع السَّابق (١٣/ ٥٣٥).

٢- **الصادق من الكاذب**؛ لقوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

٣- **الشَّاكر من الجاحد**؛ لقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

٤- **الصَّابر على مناجزة الأعداء من الفارِّ**؛ لقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٥- **المؤمن من المنافق**؛ لقوله: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

٦- **الخائف من الله بالغيب من الجريء**؛ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٤].

٧- **النَّاصر لدين الله من المتقاعس**؛ لقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥].

٨- **الـمُحسن من الـمُسيء**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ

أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، [الكهف: ٧]، وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٩- **المفسد من المصلح**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، والآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ ابتلىٰ الأوصياء بجواز مخالطة أموالهم مع أموال اليتامىٰ؛ ليظهر منهم المفسد من المصلح؛ لهذا رُوي عن ابن زيد في قول الله تعالىٰ ذكره: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ أنه قال: «الله يعلم حين تخلط مالك بماله: أتريد أن تصلح ماله، أو تفسده، فتأكله بغير حق»(١).

إذَنْ فالمقصد من ابتلاء التَّمحيص كما دلَّت الآيات؛ هو تنقية القلوب وتخليصها من العيوب، وتكفير السيِّئات؛ لأنَّ كلَّ ما يصاب به المسلم في الدُّنيا من المصائب والأحزان هو كفَّارة له، كما تقدَّم في الحديث(٢)، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ المقصد من ابتلاء التَّمحيص هو التَّفريق بين الصَّادق في إيمانه والكاذب فيه، وبين الشَّاكر لأنعُمِ الله والجاحد لها، وبين الصَّابر علىٰ أنواع البلايا، والجازع لها، وبين المخلص في عبادته والمنافق فيها، وبين الثَّابت في الدِّين والمضطرب فيه، وبين الناصر لدين الله والخاذل له، وبين الخائف من الله بالغيب والجريء، وبين المحسن في عمله والمسيء فيه، وبين المصلح في تعامله والمفسد فيه.

هذا وإنَّ المؤمن الصادق إذا أصابته المحنة؛ صبر واحتسب، وأحسن الظنَّ بالله؛ لأنه يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كُتب له، وأنَّ المِحن والإحن تربيه، وتنقيه، وتخلِّصه، وتهذِّبه، فتزيده إيمانًا وثباتًا، أما المنافق، أو الكافر، أو الفاسق، أو الجاهل،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤/ ٣٥٧).

(٢) ينظر: الابتلاء بمقصد الرَّحمة، هامش ٢، (ص ٥٢).

فإذا أصابه شرٌّ وبلاءٌ في جسده وضيق في معيشته؛ فزع واضطرب، وجزع وغضب، وأساء الظنَّ بالله تعالىٰ، يقول ابن القيم رحمه الله: «إنَّ الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النُّفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيِّبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحِّص النُّفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذَّهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشِّه إلَّا بالامتحان؛ إذِ النَّفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظُّلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلىٰ السَّبك والتَّصفية، فإن خرج في هذه الدَّار وإلَّا ففي كير جهنَّم، فإذا هُذِّب العبد ونُقِّيَ أُذن له في دخول الجنَّة»(١).

المطلب العاشر:

البلاء بمقصد الاستدراج

لقد وردت لفظة «استدرج» في موضعين من القرآن الكريم(٢)، بصيغة الفعل المضارع المبدوء بسين الاستقبال، وفاعله «نحن»؛ للتعظيم.

«الاستدراج» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي (درج) المزيد بثلاثة أحرف: استدرج، يستدرج، استَدْرِج، استدراجًا، فهو مُستدرِج، والمفعول مُستدرَج، وأصل مادة (درج) يدلُّ علىٰ: «مُضيِّ الشَّيء، والمضيّ في الشَّيء، من ذلك قولهم: درج الشيء، إذا مضىٰ لسبيله، ورجع فلان أدراجه، إذا رجع في الطَّريق الذي جاء منه، ودرج الصَّبي، إذا مشىٰ مشيته»(٣)؛ وفي اللِّسان: «استدرجه؛ أي أدناه منه علىٰ التَّدريج،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (٣/ ١٦-١٧).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٥٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤/ ٧٧-٧٨).

فتدرَّج هو، وفي التنزيل العزيز: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]؛ قال بعضهم: معناه سنأخذهم قليلًا قليلًا ولا نباغتهم؛ وقيل: معناه سنأخذهم من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أنَّ الله تعالىٰ يفتح عليهم من النَّعيم ما يغتبطون به فيركنون إليه ويأنسون به، فلا يذكرون الموت، فيأخذهم علىٰ غِرَّتِهم أغفل ما كانوا، ورُوي عن أبي الهيثم: امتنع فلان من كذا وكذا حتىٰ أتاه فلان فاستدرجه؛ أي خَدَعَه حتىٰ حَمَلَه علىٰ أنْ دَرَجَ في ذلك، أبو سعيد: استدرجه كلامي؛ أي أقلقه حتىٰ تركه يدرج علىٰ الأرض؛ قال الأعشىٰ: لَيَستدرِجَنَّك القول حتىٰ تَهُزَّه... وتعلم أني منكم غير مُلْجَمِ»[(١)]، وفي اصطلاح المفسِّرين، الاستدراج: «أن تأتيه من حيث لا يعلم، ومِن حيث تُلَطِّف له حتىٰ تغترَّه»[(٢)]، ويقول آخر: «اغترارُ المستدرَج بلطف من استدرجه، حيث يرىٰ المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتىٰ يورِّطه مكروهًا»[(٣)]، ويرىٰ أحدهم أنَّه عبارة عن: «الإمداد بالنِّعم وإنساء الشُّكر عليها، فإذا سكنوا وحجبوا عن المنعم أُخِذوا»[(٤)]، ويرىٰ آخر أنَّ الاستدراج: «هو الأخذ في حال الغفلة، من حيث أمِنَ الرَّجل بغتة»[(٥)]، ويرىٰ ابن عجيبة ﷺ أنَّ الاستدراج ليس خاصًّا بالكفَّار، بل يكون في المؤمنين خواصِّهم وعوامِّهم، ثم نقل عن ابن عبَّاد ﷺ قوله: «الخوف من الاستدراج بالنِّعم من صفة المؤمنين، وعدم الخوف منه مع الدَّوام علىٰ الإساءة من صفة الكافرين»[(٦)]، وبعد الوقوف علىٰ معنىٰ الاستدراج في اللُّغة والاصطلاح، نجد أنَّ الاستدراج لغةً يدور حول معنىٰ الاستدناء والتقريب، وحاصل معناه في الاصطلاح

(١) لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٦٨).

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/ ٢٣٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير التستري، للتُستري (١/ ٧٠).

(٥) تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي (٥/ ١٠١).

(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/ ٢٨٧).

هو: سوق الجاحدين، والماردين علىٰ المعاصي، شيئًا بعد شيء، ودرجة بعد درجة، إلىٰ ما يهلكهم، ويضاعف لهم العذاب، دون أن يعلموا ما يراد بهم، وذلك بالإفضال عليهم بازدياد النِّعمة، ورخاء العيش، والإمهال لهم بالإنساء في الأجل، والإطالة في العمر، مع إدامة الصِّحَّة؛ حتىٰ يزعموا أنَّه تكريم لهم من الله، وإيثار لهم علىٰ سائر المخلوقين؛ فيتمادوا في المعاصي؛ «ليبلغوا بمعصيتهم ربَّهم، المقدارَ الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب، ثم يقبضهم إليه»[(١)] في حال غفلة، أو فتور.

لقد ورد لفظ الاستدراج كما بيَّنَّا آنفًا في موضعَيْن في القرآن الكريم، الأول في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، والآخر في قوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، وقوله في الآيتَيْن: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: «سنستدنيهم قليلًا قليلًا إلىٰ ما يهلكهم ويضاعف عقابهم مِنْ حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغيِّ، فكلما جدَّد عليهم نِعمة ازدادوا بطرًا وجدَّدوا معصية، فيتدرَّجون في المعاصي بسبب ترادف النِّعم، ظانِّين أنَّ مواترة النِّعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالىٰ، نعوذ بالله منه»[(٢)]، ويقول آخر: «أي: سنُمهِلهم بغرَّتهم، ونزيِّن لهم سوء أعمالهم؛ حتىٰ يحسب أنه في كفره محسن، فإذا بلغ الغاية التي كُتبت له، أُخذ بأعماله السَّيِّئة من حيث لا يعلم»[(٣)]، قال ابن قتيبة رحمه الله: «الاستدراج أن يأخذهم قليلًا قليلًا، ولا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٣/ ٢٨٨).

(٢) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ١٨٢).

(٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٤/ ٢٦٥٣).

يباغتهم»[1]، وقال الضَّحَّاك رحمه الله: «كلما جدَّدوا معصية جدَّدنا لهم نعمة»[2]، وقال سفيان الثوري رحمه الله: «نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشُّكر»[3]، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لَمَّا حُمل إليه كنوز كسرىٰ: «اللهمَّ إني أعوذ بك أن أكون مستدرجًا؛ فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]»[4].

وأمَّا قوله في الآيتَيْن: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ فمعناه: «أُمهِلهم، وأُطيل لهم مدة عمرهم؛ ليتمادوا في المعاصي، ولا أعاجلهم بالعقوبة علىٰ المعصية؛ ليقلعوا عنها بالتوبة والإنابة»[5]. وما تضمنته هاتان الآيتان الكريمتان، قد أوضحه الله تعالىٰ في أكثر من موضع بأسماء أخرىٰ، وقد ذكر أهل التفسير أربعة أسماء للاستدراج، وهي: المكر، الكيد، الإملاء، الإهلاك»[6]، كما ظهر لنا خمسة أخرىٰ، وهي: الإمهال، الخداع، الإمداد، الترك، الفتح، هذا هو بيانها:

١ - **المكر**: كقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أي: «أن يستدرجهم بالنِّعم حتىٰ يأخذهم بغتة»[7]، و ﴿مَكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾: «استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولاستدراجه»[8].

---

(١) غريب القرآن، لابن قتيبة (١/ ٤١١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٥٥).

(٣) المرجع السَّابق (٢/ ٢٥٥).

(٤) مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/ ٤١٨)، وقد أخرجه البيهقي في سننه: كتاب أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع، برقم (١٣٠٣٣).

(٥) المرجع السَّابق (١٥/ ٤١٨)،

(٦) المرجع السَّابق (٢١/ ٤٣٨).

(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة (٢/ ٢٤١).

(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ١٣٤).

٢- **الكيد**: كقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]، أي: «أمهلهم في بطرهم وغفلتهم إلىٰ حيث ازدادوا علىٰ نفوسهم العتوَّ والعناد الموجب لشدَّة العذاب»(١).

٣- **الإملاء**: كقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، أي: «نؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثمًا؛ أي جرأة علىٰ المعاصي»(٢)، وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

٤- **الإهلاك**: كقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠]، والمعنىٰ: «انظر بعين قلبك، وفكر بفهمك، فكذلك نفعل بمن كذبك فقتلهم الله بالسيف»(٣)، والآية فيها استدراج بالنِّعم لمن كذب بمحمد ﷺ بأن يأخذه الله فجأة، كإغداقه العطاء علىٰ فرعون وشيعته ثم إهلاكهم فجأة.

٥- **الإمهال**: كقوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، أي: «أخِّرهم، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم»(٤).

٦- **الخداع**: كقوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، أي: «بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذابًا»(٥).

٧- **الإمداد**: كقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]،

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، للنخجواني (١/ ٢٧٥).
(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/ ٢٦٧).
(٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي (٨/ ٥٥٣٦).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/ ٣٧٦).
(٥) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ٣٠).

وقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: «بمعنىٰ يزيدهم، علىٰ وجه الإملاء والترك لهم في عُتوِّهم وتمرُّدهم»(١)، ونظيره قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَـٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١١ – ١٧]. وغيرها من الآيات.

٨- **التَّرك**: كقوله: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، والمعنىٰ: «نذرُهم ونتركهم فيه، ونملي لهم ليزدادوا إثمًا إلىٰ إثمهم»(٢).

٩- **الفتح**: كقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: «فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالىٰ وإملاء لهم، عياذًا بالله من مكره»(٣).

هذا وما ذكرناه في معنىٰ البلاء بالاستدراج والإملاء؛ أنَّ أهل الكفر والزَّيغ كلما ازدادوا تماديًا في الكفر والفسوق والعصيان، زادهم الله نعمة، ورغدًا في العيش، وإدامة الصِّحَّة؛ حتىٰ يظنُّوا أنَّ هذا من تقريب الله لهم، وكرامته، وإيثاره، فيصير ذلك الإنعام والإمهال سببًا لتماديهم في الانكفاء عن ذكر الله، واتِّباع السُّنَّة، والبعد عن الرجوع إلىٰ طاعة الله، والائتساء بنبيِّه، وهذه الحالة نشاهدها في كثير من الكفرة، وفي بعضٍ من فسقة المسلمين كالمبتدعة وغيرهم؛ حيث يُستدرجون في الطَّاعات، مع ثناء النَّاس عليهم؛ حتىٰ يحسبون أنهم علىٰ خير عظيم، وأنه من تكريم الله لهم، فلا يزالون علىٰ هذه الحالة؛ حتىٰ يأخذهم الله علىٰ غِرّة، أو فترة، إلَّا من تاب منهم، وأناب إلىٰ الله، وعمل صالحًا قبل الأخذ، وقد كان النبيُّ ﷺ يسأل الله الثبات علىٰ الطَّاعة والإعانة علىٰ شكرها والعصمة من الاستدراج بها، كما رُوي

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٠٧).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١/ ٣٠٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

عن ابن عباس ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يدعو: «ربِّ أعني ولا تُعِن علَيَّ، وانصرني ولا تنصر علَيَّ، وامكر لي ولا تمكر علَيَّ، واهدني ويَسِّر هداي إليَّ، وانصرني علىٰ من بغىٰ علَيَّ، اللهم اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطواعًا، إليك مخبتًا، أو منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي»[(١)]، والشَّاهد قوله: «وامكر لي ولا تمكر علَيَّ» قال الطيبي: «المكر: الخداع، وهو من الله إيقاع بلائه بأعدائه من حيث لا يشعرون، وقيل: استدراج العبد بالطاعة فيتوهَّم أنها مقبولة وهي مردودة»[(٢)].

◆ ◆ ◆

المطلب الحادي عشر:
البلاء بمقصد التَّخويف

وردت مادة «خوف» في مائة وأربعة وعشرين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة[(٣)].

و«التَّخويف» في اللُّغة مصدر الفعل الثلاثي المضعَّف: خوَّفَ، يخوِّف، تخويفًا، فهو مُخوِّف، والمفعول مُخوَّف، ومادة (خوف): «الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل علىٰ الذعر والفزع»[(٤)]؛ وفي اللِّسان: «الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفًا

(١) أخرجه أبو داود في سننه: أبواب تفريع أبواب الوتر، باب ما يقول الرجل إذا سلم، برقم (١٥١٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (١٥١٠)، كما أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات، لم يسم بابه، برقم (٣٥٥١)، وصحَّحه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٥٥١).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للآبادي الصديقي (٤/ ٢٦٣).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٢٤٦-٢٤٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩/ ٩٩-١٠٠).

وخيفة ومخافة، وخَوَّفَ الرجل إذا جعل فيه الخوف، وخَوَّفْتُه إذا جعلته بحالة يخافه الناس، والإخافة: التخويف»[(١)]، وفي اصطلاح المفسِّرين هو: «إدخال الفزع في قلب المخاطب؛ حثًّا علىٰ التَّحرُّز من ارتكاب محظور»[(٢)]، ويقول آخر: «بعث النفس علىٰ تحمُّل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة»[(٣)]، ويقول غيره: «هو ما تدل عليه من الرسالة المنذرة المخوفة من عذاب الله تعالىٰ»[(٤)]، مما سبق من تعريفات للتَّخويف في اللُّغة والاصطلاح يتبيَّن لنا أنه يدور حول الذُّعر والفزع، وإخافة النَّاس من الوقوع في الشُّرور والآثام. إذَنْ، فالتَّخويف هو: إفزاع النَّفس بأنواع المصائب والبلايا في الحياة الدُّنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة، في حال استمرارها علىٰ فعل المنهيات وترك المأمورات.

لقد خوَّف الله عباده في كتابه بإنزال الآيات عليهم تترىٰ، كالجوائح السَّماوية، وانتشار الأمراض الفتَّاكة، وغير ذلك؛ ليتَّعظوا، ويعتبروا فقال: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩]، قال قتادة ﷺ: «وإن الله يخوِّف الناس بما شاء من آية؛ لعلهم يعتبرون، أو يذكَّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت علىٰ عهد ابن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس، إنَّ ربَّكم يستعتبكم فأعتبوه»[(٥)]، وفي الحديث المتَّفق عليه عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنَّ الله تعالىٰ يخوِّف بها عباده**»[(٦)]، وعن

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٣٠٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٣/ ١٩١).

(٤) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٨/ ٤٤٠٩).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب الكسوف، باب قول النبي ﷺ: «يخوف الله عباده بالكسوف»، =

الحسن ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ قال: «الموت الذريع»[1]. والغرض من هذا التخويف الإلهي للبشرية جميعًا؛ حتىٰ تتَّعظ وتتذكَّر وترجع إلىٰ بارئها، فتؤمن به إيمانًا جازمًا لا يخالطه ريب، وتؤدِّي ما هي مكلَّفة به من حقوق الله في العبوديَّة، وتوحيده بالرُّبوبية، والألوهيَّة، والأسماء والصفات، ونفي الشريك عنه الذي هو أصل الدَّعوة الإسلامية ومحور رسالة جميع أنبيائه ورسله من لدن آدم عليه السلام، إلىٰ محمد ﷺ، فإنَّه تعالىٰ يكشف الضُّرَّ عمن تضرَّع إليه وتذلَّل وتمسكن، ولا يُخيَّب مقصود من توكَّل عليه وأظهر فقره وعجزه بين يديه.

كما حذَّر الله تعالىٰ الذين يخالفون أمره ويقعون فيما يغضبه -سواء أكان ذلك باطنًا أم ظاهرًا- من الإصابة بأنواع من المصائب والابتلاءات فقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ يقول الشوكاني: «والفتنة هنا: غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، وقيل: هي القتل، وقيل: الزلازل، وقيل: تسلَّط سلطان جائر عليهم، وقيل: الطَّبع علىٰ قلوبهم»[2]، وقوله: ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فمعناه: «أو يصيبهم في عاجل الدُّنيا عذاب من الله موجع، علىٰ صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله ﷺ»[3]، وقد يكون من هذا القبيل ظهور الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافنا، وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا بقوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٤]،

= برقم (١٠٤٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف الصلاة جامعة، برقم (٩١١).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٧/ ٤٧٨).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٨).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٩/ ٢٣١).

وقال سعيد بن جبير: «الرِّجز الطَّاعون»(١).

وحذَّر الله تعالىٰ عباده عقوبته في حال ركوبهم ما يغضبه، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨] والمعنىٰ: «ويخوِّفكم الله من نفسه أن تَرْكبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه»(٢)، ذلك وقد سجَّل القرآن الكريم أنَّ عباده الذين لا يُتوقَّع إيمانهم، لا تنفع فيهم آياته، ومخوِّفاته، ولا تُجدي معهم، فقال: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]؛ أي: «لا تنجع فيهم الآيات، والأدلَّة، ولا النُّذر والمخوِّفات»(٣).

هذا وإنَّ الناس إذا اتَّعظوا بما خُوِّفوا به، وحُذِّروا منه، وأُنذروا به، دعاهم هذا إلىٰ النَّظر في أحوالهم؛ حتىٰ يتوصَّلوا إلىٰ التَّوحيد الخالص، والإنابة الصَّادقة، ولزوم الطاعة، وترك المنكر.

وقد كان من هَدْي نبيِّنا محمد ﷺ في التَّعامل مع المُخوِّفات الإلهيَّة ما صح عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أُرسلت به»، قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السماء، تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سُرِّيَ عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة: فسألته، فقال: «لعلَّه، يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۖ﴾ [الأحقاف: ٢٤]»(٤).

ولا يخفىٰ أنَّ السُّنَّة النَّبوية حذَّرت من الابتلاءات التي قد يسلِّطها الله علىٰ

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/ ٢٢٥٣).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٦/ ٣١٧).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١١/ ٢٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، برقم (٨٩٩).

عباده في حال إعراضهم عن طاعته، وركوبهم المعاصي، فقد رُوي عن عبدالله بن عمر ﷺ أنه قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتىٰ يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»(١). وقد كان من هديه ﷺ التعوُّذ من الرَّوعات، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر ﷺ يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللَّهمَّ احفظني من بين يدَيَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومِن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»(٢). والشَّاهد قوله: «**اللَّهمَّ آمن روعاتي**»، قال ابن الأثير في النِّهاية: «هي جمع روعة، وهي المرَّة الواحدة من الرَّوع: الفزع»(٣).

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: أبواب الفتن، باب العقوبات، برقم (٤٠١٩)، وحسَّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٤٠١٩)، كما أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الفتن والملاحم، أما حديث أبي عوانة، برقم (٨٦٢٣).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، برقم (١٩٠٢)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، كما أخرجه أحمد في مسنده: مسند المكثرين من الصَّحابة، عبدالله بن عمر ﷺ، برقم (٤٧٨٥)، وقال عنه محقِّقو الإسناد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢٧٧).

المطلب الثاني عشر:
البلاء بمقصد العقوبة

لقد وردت مادة «عقب» في ثمانين موضعًا من آي الذِّكر الحكيم بصياغات واشتقاقات مختلفة[(١)].

و«العقوبة» في اللُّغة مصدر الفعل الرباعي المزيد بحرف: عاقبَ، يعاقب، عِقابًا، ومُعاقبةً، وعقوبةً، فهو مُعاقِب، والمفعول مُعَاقَب، وأصل مادة (عقب) يدلُّ علىٰ: «تأخير شيْءٍ وإتيانه بعد غيره، كلُّ شيء يعقب شيئًا فهو عقيبه، وإنَّما سمِّيت عقوبةً لأنَّها تكون آخرًا وثاني الذَّنب»[(٢)]؛ أي: تأتىٰ بعد الذَّنب، وفي الفروق: «العقاب ينبئ عن استحقاق، وسُمِّي بذلك لأنَّ الفاعل يستحقُّه عُقَيْبَ فعله، وأصل العقاب التِّلو، وهو تأدية الأوَّل إلىٰ الثَّاني، يقال: عقب الثاني الأوَّل إذا تلاه، وعاقبت اللِّصَّ بالقطع الذي يتلو سرقته»[(٣)] وفي اللِّسان: «العقاب والمعاقبة أن تجزي الرَّجل بما فعل سوءًا؛ والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبةً وعقابًا: أخذه به، وتعقَّبت الرَّجل إذا أخذته بذنب كان منه»[(٤)]، وفي اصطلاح القرآن الكريم، العقوبة هي: ما يلقاه الإنسان في الدُّنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشَّرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاءً عن سوء أفعاله.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لعبدالباقي (٤٦٧-٤٨٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/ ٧٧-٧٨).

(٣) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١/ ٦١٩).

يخبرنا الله تعالىٰ أنه يعاقب الناس بالمصائب، والشَّدائد، والبلايا في الدُّنيا؛ مجازاة لهم عن سوء أعمالهم فقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ومعنىٰ ﴿سُوٓءٗا﴾: «ما يسوء من القبائح»[١]، ومعنىٰ ﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾: «ما يلقاه الإنسان في الدنيا من الأحزان والمصائب جزاءً عن سيئاته»[٢]، ويقول أيضًا: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وقوله: ﴿رِجۡزٗا﴾ فمعناه: «ما يعاف عنه، وكذلك الرِّجس، والمراد به الطَّاعون، رُوي أنَّه مات في ساعة: أربعة وعشرون ألفًا»[٣]، ويؤيِّد هذا ما رواه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطَّاعون رجز، أو عذاب أُرسل علىٰ بني إسرائيل، أو علىٰ من كان قبلكم**»[٤]، هذا وإنَّ الإصابة بهذه الأمراض الفتَّاكة هي نوع من أنواع العقاب الذي كان يرسله الله علىٰ الأمم قبلنا، وإلىٰ الآن، وكانت سنن الله فيهم أن يمتِّعهم بمتاع الدُّنيا؛ حتىٰ يظنُّوا أنهم ما متِّعوا به من خير، إلَّا لعُلوِّ منزلتهم عند الله؛ فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم الله فجأة بأنواع العذاب وهم لا يشعرون. وقد صحَّ عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يملي للظَّالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]»[٥].

وقد دعا الله مشركي قريش إلىٰ التَّدبُّر في حال الأمم التي أهلكها بسبب كفرها وتكذيبها رسله، وأنه قادر علىٰ إهلاكهم، ثم إدخالهم نارًا خالدين فيها، إنْ هم استمرُّوا علىٰ شركهم فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن

(١) النكت والعيون، الماوردي (١/ ٥٣١).
(٢) المرجع السَّابق (١/ ٥٣١).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/ ٨٣).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، برقم (٢٢١٨).
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم (٢٥٨٣).

قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ٩-١٠]، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وفي المفردات: «والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب، وبالإضافة قد تُستعمل في العقوبة»(١)، وقد أوضح الله تعالىٰ في سورة الشُّعراء، ومواضع أخرىٰ، عاقبة الأمم الخالية بسبب ظلمها، كحكايته عن إغراق فرعون وقومه، وإكباب قوم إبراهيم وأبيه في الجحيم، وإهلاك قوم نوح بالإغراق، وإهلاك قوم هود، وهم قبيلة عاد، بريح صرصر، وأخذ قوم صالح وهم قبيلة ثمود بالصَّاعقة، وإهلاك قوم لوط بإقلاب الأرض عليهم، وإهلاك قوم شعيب وهم أصحاب الأيكة بالصَّيحة، وغيرها من الأمم التي انتقم الله منها بعذاب حسِّيٍّ، أو جسميٍّ؛ بسبب ظلمها وكفرها بأنعم الله، وأنَّ سُنَّته جلَّ وعزَّ ماضية في إلحاق العقوبة بالمتمرِّدين عن طاعته، والماردين في معصيته، وأنَّها تجري علىٰ جميع خلقه من لدن آدم إلىٰ قيام الساعة فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وقد ينتقم الله تعالىٰ من العصاة بعذاب معنويٍّ، أو قلبيٍّ كما هو حال المنافقين، وهذا النوع من العذاب أشدُّ من سابقه، وقد كان رسول الله ﷺ كثير التعوُّذ منه، وأرشد أمَّته إلىٰ ذلك، ويتمثَّل هذا النَّوع من العذاب في الطَّبع، والختم، والوقر، والغشاوة، والأكنَّة، والطمس، المانعة من فهم ما ينفع، كما قال تعالىٰ في شأن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب (١/ ٥٧٥).

﴿مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾؛ أي: «جعل نفاقًا عقب ذلك؛ أي إثره»[١]، وهذا يستلزم أنه: «أضلهم الله بفعلهم»[٢]، ويقول ابن عاشور رحمه الله: «جعل فعلهم ذلك؛ سببًا في بقاء النِّفاق في قلوبهم إلىٰ موتهم، وذلك جزاء تمرُّدهم علىٰ النِّفاق»[٣]؛ ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فمعناه: «مرَنُوا عليه ودَرِبوا به»[٤]، و«تمهَّروا فيه»[٥]، وأحسن ما وقفت عليهم قول من قال: «أخبر عنهم أنهم خِرِّيجُونَ في النِّفاق»[٦]، ومعنىٰ الخرِّيج في اللُّغة: «أدَّبه كما يُخَرِّجُ المعلم تلميذه، وفلان خَرِيجُ مال وخِرِّيجُه، بالتشديد، وهو فِعِّيلٌ بمعنىٰ مفعول، إذا درَّبه وعلَّمه، وقد خرَّجه في الأدب فتخرَّج»[٧]. هذا وإنَّ الآية دلالة واضحة علىٰ أنَّ كلَّ من أقام علىٰ الذَّنب، واستمرَّ عليه، وتمهَّر فيه، فلم يتب منه ويستغفر، ولم يقرَّ به، صار -أي: الذَّنب- صفة متأصِّلةً متجذِّرةً فيه إلىٰ درجة صَيْرِه خرِّيج ذنبه؛ أي: متخرِّجًا فيه، فيُخْتَمُ له به إلىٰ موته جزاء تمرُّسه فيه، فيكون بهذا الفعل قد جمع العاصي المتمادي علىٰ نفسه عذابَيْن: الأول في الدُّنيا بأنواع المصائب والمحن، والآخر في الأُخرىٰ بعذاب أليم، عياذًا بالله من الخذلان.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٤٦٢).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (١٤/ ٤٤٠).

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (٢/ ٣٠٥).

(٦) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيَّان الأندلسي (٥/ ٤٩٦).

(٧) لسان العرب، لابن منظور، (٢/ ٢٥٠).

كما قد ينتقم الله من الفسقة بعذاب جسديٍّ، كما هو حال مرتكبي الجرائم، والسَّاعين في الأرض فسادًا، ويتمثَّل هذا في العقوبات الشَّرعيَّة من حدود وقصاص وتعازير شرعيَّة؛ لأنَّ «إقامة الحدود من المصائب التي تصيب الأنفس كما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [الحديد: ٢٢]»[١]، قال ﷻ عن عقوبة الحرابة: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقال عن عقوبة السَّرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال عن عقوبة الصَّيد في حال الإحرام، أو في أرض الحرم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال عن عقوبة القتل العمد: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٩٣] ويُعنى بالجزاء في الآيات: «معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر»[٢]، وقال عن عقوبة الزنا: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال عن عقوبة القذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وغير ذلك من الجرائم الاجتماعية التي رتَّب عليها الشارع عقوبات مغلَّظة.

---

(١) بتصرُّف: مفاتيح الغيب، للرزاي (٢٩/ ٤٦٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٧٧).

وقد قرَّر الله تعالىٰ أنَّ ما يصيب النَّاس من أنواع المصائب، والمحن في أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم، والعقوبات الشَّرعيَّة، وشيوع الأمراض النَّفسية، والبدنيَّة، والعقليَّة؛ فإنَّما يصيبهم ذلك عقوبة من الله لهم علىٰ ما اقترفوه من المعاصي، والآثام، والبعد عن شرع الله تعالىٰ، ومخالفتهم أمره، وارتكابهم نهيه فقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، ونظيره قوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، أي: «من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنَّك السَّبب فيها بما اكتسبت يداك»(١)، وقد عاتب الله تعالىٰ الصَّحابة رضي الله عنهم أجمعين علىٰ ما أصابهم يوم أحد من هزيمة، وقتل، وجرح، وأسر، فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقوله ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: «أصابكم بمعصيتكم النبيَّ ﷺ»(٢).

هذا وقد اقتضت رحمة الله تبارك وتعالى أنَّ كلَّ ما يرتكبه الناس من كُفر لأنعم الله، ومن فساد في بَرِّ الأرض وبحرها، ومن ظلم، وطغيان، وغير ذلك من الذُّنوب الفَظيعة، التي لو عاقب اللهُ النَّاسَ عليها ما أبقىٰ أحدًا علىٰ ظهر الأرض، غير أنَّ الله حليم بعباده، فلا يعجِّل عليهم العقوبة، وإنَّما يمهلهم؛ حتىٰ يتوبوا، ويستدركوا في الدُّنيا ما فرَّطوا في جنب الله، يقول تعالىٰ ذكره: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقد كان من هديه ﷺ التعوُّذ بالله من العقوبة، فعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لم يكن رسول الله ﷺ يدع

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (١/ ٥٣٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/ ٤٨٨).

هؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسي: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللَّهمَّ احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي»[(١)]. والشَّاهد قوله: «**وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي**»، قال ابن الأثير في النِّهاية: «**أي أُدهىٰ من حيث لا أشعر، يريد به الخسف**»[(٢)].

وكان من هديه ﷺ التعوُّذ وهو ساجد، من غضب الله، وسخطه، وعقوبته كما صحَّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهمَّ أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**»[(٣)].

(١) سبق تخريجه في مطلب الابتلاء بمقصد التخويف، هامش٣، (ص ٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣/ ٤٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٦).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام علىٰ من لا نبيَّ بعده، أمَّا بعد؛

فبعد هذه الإشراقة علىٰ مقاصد البلاء التي تمَّ إبرازها من خلال هذه الدِّراسة الموضوعيَّة لآيات من الذِّكر الحكيم، نصل إلىٰ عدَّة نتائج وتوصيات، وهذا بيانها:

أوَّلًا: أهمُّ النتائج

- يُعنىٰ بالمقاصد القرآنية: الغايات والأهداف التي أُنزل القرآن الكريم من أجلها؛ تحقيقًا لجلب مصالح العباد في المعاش والمعاد من جهة، وتحقيقًا لدرء مفاسد العباد في المعاش والمعاد من جهة أخرىٰ.
- يُعنىٰ بمقاصد البلاء في القرآن الكريم: الغايات والحكم التي يدور حولها اختبار أحوال الناس في تلقِّي التَّكاليف، وأنواع النِّعم، والنِّقم.
- يستنتج أنَّ بين البلاء والابتلاء عمومًا وخصوصًا، فالبلاء أعمُّ من الابتلاء، والابتلاء أخصُّ منه؛ إذ فيه زيادة مشقَّة وكلفة، وكلاهما يكون في الخير والشَّرِّ معًا، من غير فرق بين فعليهما.
- يستنتج أنَّ البلاء يظهر حال البشر، ومدىٰ تطبيقهم للتَّكاليف والنَّواهي، وتتجلَّىٰ به نيَّاتهم في سرعة الاستجابة لله، وللرسول ﷺ، ويختلف ذلك من شخص لآخر، حسب قوة الإيمان في القلب، وحسب إدراك المعاني والحكم للبلاء في الخير والشَّرِّ.
- يستنتج أنَّ المقصد الرَّئيس من البلاء؛ استخراج ما عند المبتَلَىٰ من معاني

العبوديَّة لله وحده، وتعرُّف حاله في الطَّاعة والمعصية؛ بتحميله الضِّيق، والمشقَّة، والألم.

- يستنتج أنَّ من مقاصد إصابة الإنسان بالبلاء؛ يكون:

١. لإفراد المبتَلَىٰ من بيده الأمر ﷻ بالطَّاعة قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

٢. لإظهار المبتَلَىٰ الحاجة إلىٰ الله وحده لتدبير أمره.

٣. لاعتراف المبتلىٰ بقدرة الله في قضاء حوائجه وكشف كرباته؛ بحيث يتوجَّه إليه وحده بالدُّعاء.

٤. لتحمُّل المبتَلَىٰ التكاليف التشريعية الشَّاقة من الأوامر والنواهي والضِّيق، والآلام.

٥. لإظهار المبتَلَىٰ تسليمه الكلِّي لقضاء الله، وأحكامه الشَّرعيَّة من غير شكٍّ في حِكَمها، ولا منازعة في أحكَامها.

٦. لإقرار المبتَلَىٰ بنعمة الله وهدايته، واستعمال جميع نِعَمه فيما يرضيه تعالىٰ.

٧. لرجوع المبتَلَىٰ إلىٰ طاعة الله ﷻ، والانتهاء عن المعاصي.

٨. لاعتراف المبتَلَىٰ أنَّ ما يصيبه من المصائب هو من تمام رحمة الله عليه؛ حتىٰ يستيقظ من غفلته.

٩. لتمحيص المبتَلَىٰ، وبيان حدِّ المفاصلة بينه وبين أهل الكفر، إن كان من أهل الإيمان.

١٠. لتنبيه المبتَلَىٰ أنَّ الله قد يمدُّ الفاسق بالنِّعم، وإنساء الشُّكر عليها؛ ليبلغ أقصىٰ مراتب العقوبة والعذاب.

١١. لتهديد المبتَلَىٰ بأنَّ الله يفزع الأنفس بأنواع المصائب في الحياة الدُّنيا، وبسوء العاقبة يوم القيامة في حال إصرارها علىٰ الذُّنوب.

١٢. لإنذار المبتلىٰ أنَّ ما يلقاه الإنسان في الدُّنيا من الأحزان، والمصائب، والعقوبات الشَّرعية، وما يلقاه في الآخرة من عذاب أليم؛ جزاء عن سوء أفعاله.

ثانيًا: أهمُّ التَّوصيات:

١. يوصي الباحثُ بعَقْد مؤتمرات علميَّة عن مقاصد البلاء في ضوء الوحيَيْن، وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.

٢. يوصي الباحث بإدراج موضوع مقاصد البلاء ضمن مفردات أحد مقررات الثقافة الإسلامية علىٰ سبيل المثال.

٣. يوصي الباحث المجلَّات العلميَّة العالميَّة المحكَّمة بإفراد عدد خاص عن مقاصد البلاء في القرآن والسُّنَّة.

سائلين الله ﷻ أن يعرِّفنا مقاصد ابتلاءاتنا، وأن يعيننا علىٰ حسن التعامل معها، وأن يرفعنا بها درجات في دنيانا وأخرانا.

تمَّت الدِّراسة ولله الحمد والمِنَّة، اللَّهمَّ هذا الجهد، وعليك التُّكلان، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه. والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

ثبت المصادر والمراجع

١- «أحكام القرآن». الرازي، أبو بكر، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.

٢- «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم». العمادي محمد، أبو السعود، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٣- «أسباب نزول القرآن». الواحدي، أبو الحسن علي، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢.

٤- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن». الشنقيطي، محمد الأمين. (د. ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

٥- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل». البيضاوي، ناصر الدين، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٦- «البحر المحيط في التفسير». أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٧- «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد». ابن عجيبة، أبو العباس، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي، (د.ط)، د.ن، ١٤٢٩هـ.

٨- «تأويلات أهل السُّنة». الماتريدي، أبو منصور. تحقيق: مجدي باسلوم، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.

٩- «التحرير والتنوير». ابن عاشور، الطَّاهر. (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٠- «تفسير التستري». التُستري، أبو محمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ.

١١- «تفسير الراغب الأصفهاني». الراغب الأصفهانىٰ، أبو القاسم، تحقيق: عادل بن علي الشِّدِّي، (ط١)، الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٣م.

١٢- «تفسير القرآن الحكيم». رشيد رضا، محمد. (د. ط)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٣- «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. (ط٢)، لبنان: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

١٤- «تفسير المراغي». المراغي، أحمد بن مصطفىٰ، (ط١)، مصر: مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٩٤٦م.

١٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». الطبري، محمد بن جرير. (ط١)، الجيزة: دار الهجر، ٢٠٠١م.

١٦- «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل». الترمذي، محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة. (ط٢)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، ١٩٧٥م.

١٧- «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه». البخاري، محمد بن إسماعيل. (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

١٨- «الجامع لأحكام القرآن». القرطبي، أبو عبدالله. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.

١٩- «زاد المسير في علم التفسير». ابن الجوزي، أبو الفرج، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٢٠- «زاد المعاد في هدي خير العباد». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٢٧)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٢١- «زهرة التفاسير». أبو زهرة، محمد بن أحمد، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، الدمام: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.

٢٢- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها». الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين. (ط١)، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م.

٢٣- «سنن ابن ماجه». ابن ماجه، أبو عبدالله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، (ط١)، بيروت: دار الرسالة، ٢٠٠٩م.

٢٤- «سنن أبي داود». أبو داود، سليمان بن الأشعث. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٢٥- «السنن الكبرىٰ». البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (ط٣)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٢٦- «الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهري، أبو نصر إسماعيل، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧.

٢٧- «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان». ابن حبان، أبو حاتم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط٢)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٢٨- «العبودية». ابن تيمية، تقي الدين ، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م.

٢٩- «عون المعبود شرح سنن أبي داود». العظيم آبادي، الصديقي، (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥).

٣٠- «غريب القرآن لابن قتيبة». ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله، تحقيق: سعيد اللحام، (د.ط)، د.ت.

٣١- «الفتاوىٰ الكبرىٰ». ابن تيمية، تقي الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٣٢- «فتح الباري شرح صحيح البخاري«. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٩.

٣٣- «فتح القدير». الشوكاني، محمد بن علي، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٣٤- «الفروق اللغوية». العسكري، أبو هلال، (د.ط)، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.

٣٥- «الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية». النخجواني، نعمة الله بن محمود، (ط١)، مصر: دار ركابي للنشر، ١٩٩٩م.

٣٦- «قواعد الأحكام في مصالح الأنام». ابن عبدالسلام، عزُّ الدِّين، تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، ١٩٩١.

٣٧- «كتاب العين». الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.ط)، بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٨- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل». الزمخشري، محمود بن عمر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٩- «الكشف والبيان عن تفسير القرآن». الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: محمد بن عاشور، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.

٤٠- «لباب التأويل في معاني التنزيل». الخازن، علاء الدين، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٤١- «اللباب في علوم الكتاب». النعماني، أبو حفص سراج الدين، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٤٢- «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم. (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

٤٣- «مجاز القرآن». معمر بن المثنىٰ، أبو عبيدة. تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (ط٢)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٢م.

٤٤- «المحكم والمحيط الأعظم». المرسي، أبو الحسن، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠.

٤٥- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين». ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (ط٣)، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.

٤٦- «مدارك التنزيل وحقائق التأويل». النسفي، أبو البركات، (ط١)، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٩٩٨م.

٤٧- «المستدرك علىٰ الصحيحين». الحاكم، أبو عبدالله. (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٤٨- «مسند الإمام أحمد بن حنبل». أحمد، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، (ط١)، ٢٠٠١م.

٤٩- «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ». مسلم، أبو الحسن. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٥٠- «المصنف». الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢)، كراتشي باكستان: المجلس العلمي، ١٩٨٣م.

٥١- «معالم التنزيل في تفسير القرآن». البغوي، أبو محمد الحسين، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢- «معاني القرآن وإعرابه». الزجاج، أبو إسحاق. تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي. (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م.

٥٣- «المعجم الكبير». الطبراني، سليمان بن أحمد. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (ط٢)، الرياض: دار الصميعي، ١٩٩٤م.

٥٤- «معجم اللغة العربية المعاصرة». مختار، أحمد، (ط١)، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

٥٥- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم». عبدالباقي، محمد فؤاد، (د.ط)، مصر: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.

٥٦- «معجم مقاييس اللغة». ابن فارس، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م.

٥٧- «مفاتيح الغيب». الرازي، أبو عبدالله. (ط٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٨- «مفردات في غريب القرآن». راغب الأصفهاني، أبو القاسم. (ط١)، بيروت: دار القلم، ١٩٩٢م.

٥٩- «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها». عاشور، وصفي أبو زيد، الهند: مجلة وحدة الأمة، العدد التاسع، ديسمبر ٢٠١٧.

٦٠- «المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ». الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي، (ط١)، قبرص: الجفان والجابي، ١٩٨٧م.

٦١- «المنتخب من مسند عبد بن حميد». عبد بن حميد، أبو محمد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، (ط١)، القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م.

٦٢- «الموطأ». مالك، أنس بن مالك، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٦٣- «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر». ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤.

٦٤- «النكت والعيون». الماوردي، أبو الحسن. تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

(د. ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.

٦٥- «النهاية في غريب الحديث والأثر». ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (د.ط)، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م.

٦٦- «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه». القيرواني، أبو محمد مكي، (ط١)، جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ٢٠٠٨م.

٦٧- «الوجوه والنظائر». العسكري، أبو هلال، تحقيق: محمد عثمان، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٧م.

References and Sources

1. «*Ahkamu Al-Quran*». Al-Razi, Abu Bakr, investigated by: Mohammed Sadiq Al-Qamhawi, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1405 AH.
2. «*Guidance of Sound Mind to the Merits of the Holy Quran*». Al-Emadi Mohammed, Abu Al-Saud, (no edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, (without publishing date).
3. «*Asbab Nozol Al-Quran*» Al-Wahidi, Abu Al-Hassan Ali, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Islah, 2nd Edition, 1992.
4. «*Adwau el-Bayan fi Edahu Al-Quran bil-Quran*». Al-Shanqiti, Mohammed Al-Amin. (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1995 AD.
5. «*Anwaru Attanzil wa Asraru Altawil*». Al-Baydawi, Nasser Al-Din, investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
6. «*Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer*». Abu Hayyan Al-Andalusi, Mohammed bin Yusuf, investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, (d. I), Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH.
7. «*Al-bahrul-Madeed fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed*». Ibn Ajiba, Abu al-Abbas, investigated by: Ahmed Abdullah al-Qurashi, (no edition number), no publisher name, 1429 AH.
8. «*Tawilat Ahlu Assunah*». Al-Matridi, Abu Mansour. investigated by: Majdi Basloum, (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2005 AD.
9. «*Al-Tahreer wa Al-tanweer*». Ibn Ashour, al-Taher. (No edition number), Tunisia: Tunisian Publishing House, 1984 AD.
10. «*Tafsir Al-Tastri*». Al-Tustari, Abu Mohammed, investigated by: Mohammed Basil Oyoun Al-Soud, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1423 AH.

11. «***Tafsir Al-Ragheb Al-Asfahani***». Al-Raghib Al-Asfahani, Abu Al-Qasim, investigated by: Adel bin Ali Al-Shaddi, (1st edition), Riyadh: Dar Al-Watan, 2003 AD.
12. «***Tafseer Al-Quran Al-Hakeem***». Rashid Reda, Mohammed. (No edition number), Egypt: The Egyptian General Book Authority, 1990 AD.
13. «***Tafseer Al-Quran Al-Azeem"***. Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail. (2nd Edition), Lebanon: Dar Taiba for Publishing and Distribution, 1999 AD.
14. ***"Tafsir Al-Maraghi"***. Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa, (1st edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore, 1946 AD.
15. ***"Jami' al-Bayan an Taweil Ayat Al-Quran"*** Al-Tabari, Mohammed bin Jarir. (1st ediyion), Giza: Dar Al-Hijrah, 2001 AD.
16. ***"Al-Jameiu Al-Mukhtassar m'n Sunan Arrrasul (PBUH) wa Marifatu Assahih wal Maaloul wa ma Alihi Al-amal" Al-Tirmizi***, Mohammed bin Isa bin Surah. (2nd edition), Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Bookstore and Press Company, 1975 AD.
17. ***"Al-Jamu Al-Musnad Assahihi Al-Mukhtasar m'n Omor Arrasul (PBUH)".*** Al-Bukhari, Mohammed bin Ismail. (2nd Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 2002 AD.
18. ***"Al-Jamei Li-Ahkam Al-Quran***". Al-Qurtubi, Abu Abdullah. investigated by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Atfiesh, (2nd ed.), Cairo: Egyptian Book House, 1964 AD.
19. ***"Zadul-Massir fi Elm Attafseer".*** Ibnul Jawzi, Abu al-Faraj, investigated by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
20. «***Zadu el-Maad fi Hadi Khairu el-Ebad".*** Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (27th edition), Beirut: Al-Risala Foundation, 1994 AD.
21. ***"Zahratu a-T'tafaseer"*** Abu Zahra, Mohammed bin Ahmed, investigated by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, Dammam: Dar Al-Fikr Al-Arabi, d.T., d.T.
22. ***"Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits»***. Al-Albani, Abu Abd al-Rahman Mohammed Nasir al-Din. (1st Edition), Riyadh: Knowledge Bookstore, 1995 AD.
23. ***"Sunan Ibn Majah".*** Ibn Majah, Abu Abdullah, investigated by: Shuaib Al-Arnaout et al, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Resala, 2009 AD.

24. ***"Sunan Abi Dawood".*** Abu Dawood, Suleiman bin Al-Ashaat. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
25. ***"Al-Sunan Al-Kubra".*** Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 2003 AD.
26. ***"As'sehah Tajul'lughah wa Sehah Alarabiah".*** Al-Gohari, Abu Nasr Ismail, investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Beirut: Dar Al-Ilm Lilmalaein, 4th edition, 1987.
27. ***"Sahih Ibn Hibban, by Ibn Balban".*** Ibn Hibban, Abu Hatim, investigated by: Shuaib Al-Arnaout, (2nd Edition), Beirut: Al-Resala Foundation, 1993 AD.
28. ***"Al-Obodyyah."*** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987 AD.
29. ***"Awn al-Mabood Sharh Sunan Abi Dawood".*** Al-Azim Abadi, Al-Siddiqi, (2nd Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
30. "***Gharib Al-Qur'an li Ibn Qutayba***." Ibn Qutaiba, Abu Mohammed Abdullah, investigated by: Saeed Al-Lahham, (no edition number), without publishing date.
31. «***Al-Fatawa Al-Kobra".*** Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din, (1st Edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1987 AD.
32. «***Fatah Al-Qadeer***». Al-Shawkani, Mohammed bin Ali, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kalim Al-Tayyib, 1414 AH.
33. «***Al-Forouq Allughawiyyah***». Al-Askari, Abu Hilal, (No edition number), Cairo: House of Science and Culture for Publishing and Distribution, without publishing date.
34. ***"Al-fotouh Al_elahyyah wa al-Mafatih Al-Ghaybiyyah Al-Moddihah Lilkalim Al-Quraaniyah wal Al-Hikam Al-Forqaniyyah".*** Al-Nakhjawani, Nimatu'llah bin Mahmoud, (1st Edition), Egypt: Rakabi Publishing House, 1999 AD.
35. ***"Qawaidul-Ahkam fi Masaleh Al-Anam"***. Ibn Abd al-Salam, Izz al-Din, investigated by: Essam Ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan, Cairo: Al-Azhar Colleges Library, d.T, 1991.
36. ***"Kitab Al-Ain".*** Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed, investigated by: Mahdi Al-Makhzoumi, Ibrahim Al-Samarrai, (No edition num-

ber), Beirut: Al-Hilal Library and Library, without publishing date.

37. ***"Al-Ka'shafa a'n Haqiu e'Tanzeel wa Ayoun Al-Aqaweel fi Wojoh Al-Taweel".*** Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar, (3rd Edition), Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.
38. «***Al-Kashf wal Bayan a'n Tafseer al-Quran".*** Al-Thalabi, Abu Ishaq, investigated by: Mohammed bin Ashour, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 2002 AD.
39. ***"Lobab A'ttawil fi Maani At'tanzil"***. Al-Khazen, Aladdin, (1st Edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
40. ***"Al-Lobab fi Oloum Al-Kitab",*** Al-Noamani, Abu Hafs Siraj Al-Din, investigated by: Adel Ahmed Abdel Mawgoed and Ali Mohammed Moawad, (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1998 AD.
41. ***"Lisan Al-Arab".*** Ibn Manzur, Mohammed bin Makram. (3rd Edition), Beirut: Dar Sader, 1414 AH.
42. ***"Majazul Quran".*** Muammar bin Al-Muthanna, Abu Obeida. investigated by: Abdel Fattah Abu Ghadda, (2nd Edition), Cairo: Al-Khanji Library, 1962.
43. ***"Al-Mohkam wal Moheet al-Azam"*** Al-Mursi, Abu Al-Hassan, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1, 2000.
44. ***"Madaraj Assalikeen baina Manazil Iyyaka Nabodu wa Iyyaka Nastaeen".*** Ibn Qayyim al-Jawziyya, Mohammed ibn Abi Bakr, (third edition), Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1996 AD.
45. «***Madarik Al-Tanzil wa Haqaiqu Al-Taweel".***Al-Nasafi, Abu Al-Barakat, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, 1998 AD. No edition number
46. ***"Al-Mostadrak al-Assahihain".*** Al-Hakim, Abu Abdullah. (1st edition), Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1990 AD.
47. ***" Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal***». Ahmed, Abu Abdullah Ahmed bin Mohammed bin Hanbal. investigated by: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, et al (1st edition), 2001 AD.
48. ***"Al-Mosnad Al-Sahihi Al-Mokhtasar Bi'Naql Al-Adl a'n Al-Adl ela Ar-rasoul (PBUH).*** Muslim, Abul-Hasan. investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, (No edition number), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, without publishing date.

49. ***"Al-Mosannaf"***. Al-San'ani, Abu Bakr Abdul-Razzaq, investigated by: Habib Al-Rahman Al-Azami, (2nd edition), Karachi, Pakistan: The Academic Board, 1983 AD.
50. ***"Maalimu Tanzil fi Tafseer al-Quran"***. Al-Baghawi, Abu Mohammed Al-Hussein, investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, (1st edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Alarabi, 1420 AH.
51. ***"Maani Al-Quran wa Eaboh".*** Al-Zaggag, Abu Is'haq. investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby. (1st edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 1988 AD.
52. ***"Al-Mojamu Al-Kabeer".*** Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed. investigated by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, (2nd Edition), Riyadh: Dar Al-Sumaei, 1994 AD.
53. ***"Mojam Al-Lughah al-Arabiyah Al-Moasirah".*** Mokhtar, Ahmed, (1st Edition), Beirut: Alam Al-Kutub, 2008.
54. ***"Al-Mojam Al-Mofahras Lalfaz Al-Quran Al-Kareem".*** Abdel-Baqi, Mohammed Fouad, (No edition number), Egypt: The Egyptian House of Books Press, 1945 AD.
55. ***"Mujam Maqaeis Al-Lughah".*** Ibn Faris, Abu Al-Hussein, investigated by: Abdel Salam Mohammed Haroun, (No edition number), Beirut: Dar Al-Fikr, 1979 AD.
56. ***"Mafatihu el-Ghaib".*** Al-Razi, Abu Abdullah. (3rd Edition), Beirut: Dar Ihia Atturath Al-Arabi, 1420 AH.
57. ***"Mofradat fi Gharibul Quran".*** Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim. (1st edition.), Beirut: Dar Al-Qalam, 1992 AD.
58. ***"The Objectives of Islamic Sharia and its Merits."*** Ashour, Wasfi Abu Zaid, India: The Nation Unity Magazine, Issue No. 9, December 2017.
59. ***"The Most High Purpose in Explaining the Meanings of Allah's Most Beautiful Names"***. Al-Ghazali, Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al-Tusi, investigated by: Bassam Abdel-Wahhab Al-Jabi, (1st Edition), Cyprus: Al-Jafan and Al-Jabi, 1987 AD.
60. ***"Al-Montakhab m'n Musnad Abd ibn Hamid».*** Abd bin Hamid, Abu Mohammed, investigated by: Subhi Al-Badri Al-Samarrai, Mahmoud Mohammed Khalil Al-Saidi, (1st edition), Cairo: Maktabat Al-Sunna, 1988 AD.

61. ***"Al-Muwatta". Malik, Anas bin Malik***, investigated by: Abdel Wahab Abdel Latif, (d.), Beirut: The Scientific Library, d.T.

62. ***"Nozhat Al-Oyoun Al-Nawazir fi Elm Alwojoh wan-Nawazir». Ibn al-Jawzi,*** Abu al-Faraj Abdurrahman, investigated by: Mohammed Abd al-Karim Kazem al-Radi, Beirut: Al-Resala Foundation, 1st edition, 1984.

63. ***"Al-Nokat wal-Oyoun".*** Al-Mawardi, Abul-Hasan. investigated by: Al-Sayyid bin Abdul-Maqsoud bin Abdul-Rahim. (No edition number), Beirut: Dar Al-Kotub al-Elmiyah,

64. ***"The End in Strange Hadith and Impact".*** Ibn al-Atheer, Majd al-Din Abu al-Saadat, investigated by: Taher Ahmad al-Zawi - Mahmoud Mohammed al-Tanahi, (No edition number), Beirut: Al-Maktabah El-Elmiyah, 1979. AD

65. ***"Al-Hidayah ela Bolough Al-Nihayah fi Elm Maani Al-Quran wa Tafseerih wa Ahkamih wa Jomalon m'n Olomih".*** Al-Qayrawani, Abu Mohammed Makki, (1st Edition), University of Sharjah: Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 2008.

66. ***"Al-Wojoh wal Nazair".*** Al-Askari, Abu Hilal, investigated by: Mohammed Othman, (1st Edition), Cairo: Religious Culture Library, 2007 AD.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

المستخلص ٢٣

المقدِّمة ٢٧

المبحث الأوَّل: تعريف المقاصد القرآنية، وتعريف البلاء ومواطن وروده في القرآن الكريم ٣٥

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية ٣٦

المطلب الثاني: تعريف البلاء في القرآن الكريم ٣٩

المطلب الثالث: مفهوم مقاصد البلاء في ضوء القرآن الكريم ٤٠

المطلب الرابع: الألفاظ ذات الصِّلة بالبلاء في القرآن الكريم ٤١

أوَّلًا: البلاء بالخير ٤١

ثانيًا: البلاء بالشَّرِّ ٤٣

المطلب الخامس: الفرق بين ابتلاء الرَّحمة وابتلاء العقوبة ٤٧

المطلب السادس: اشتقاقات مادة «بلا» وتصريفاتها في القرآن الكريم ٤٩

المطلب السابع: رسومات بيانية تبيِّن الصِّيغ التصريفية لمادة «بلا» في سور القرآن الكريم ٥٠

المطلب الثامن: تحليل نتائج الرُّسومات البيانية: ٥٥

المبحث الثاني: مقاصد البلاء في القرآن الكريم ٦٣

المطلب الأوَّل: البلاء بمقصد تحقيق العبادة لله وحده.......................... ٦٥

المطلب الثَّاني: البلاء بمقصد استخراج التوكُّل.............................. ٧٠

المطلب الثَّالث: البلاء بمقصد استخراج الدُّعاء............................. ٧٤

المطلب الرَّابع: البلاء بمقصد استخراج الصَّبر ٨٢

المطلب الخامس: البلاء بمقصد استخراج الرِّضا ٨٧

المطلب السَّادس: البلاء بمقصد استخراج الشُّكر............................. ٩٣

المطلب السَّابع: البلاء بمقصد استخراج التَّوبة ٩٩

المطلب الثَّامن: البلاء بمقصد الرَّحمة ١٠٣

المطلب التَّاسع: البلاء بمقصد التَّمحيص.............................. ١١٣

المطلب العاشر: البلاء بمقصد الاستدراج ١١٩

المطلب الحادي عشر: البلاء بمقصد التَّخويف ١٢٥

المطلب الثاني عشر: البلاء بمقصد العقوبة ١٣٠

الخاتمة ١٣٧

ثبت المصادر والمراجع... ١٤٠

رومنة المصادر والمراجع ١٤٦

فهرس الموضوعات ١٥٢

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

Part One

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **The purposes of Allah's Trials from a Quranic perspective: An Analytical Study**
  Dr. Bey Zekkoub Abdelali
- **Hospitality: Legitimacy, Rules of Etiquette, and Ruling in the light of the Holy Quran**
  Dr. Sultan bin Abdullah Al-Garbou
- **The Semantics of the Verbs of the Creation of Universes and Man in the light of the Quran (scatter, revive, cause to grow, bring out, make, and resurrect): Applied Models**
  Dr. Al-Amir Mahfouz Mohammad Abu Aisha
- **Diacritical Marks Differences in Farshi Readings with Identical Letters and their Effects on Meaning and Understanding: An Empirical Study**
  Mohammad bin Abdul-Kareem bin Baighlam
- **The Glorification of Prophets in the light of the Holy Quran**
  Hamza Abdullah Saadi Shawahnah

25 SR

1658-7642